

أم القرى في مدح خير الورى "القصيدة الهمزية"

لناظمها الإمام أبي عبد الله محمد بن سعيد ابن حماد البوصيري
(607-696هـ)

تحقيق وتعليق

الشيخ محمد الشاذلي النيفر

إصدار

جمعية آل البيت للتراث والعلوم الشرعية - فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

العلم البوصيري

يعد البوصيري من أعلام الإسلام فقد اجتهد في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقتصر على المدح إذ تولى رد شبهات اليهود والنصارى، ودحض دعاويهم الكاذبة بإنكار النص على بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التوراة والإنجيل وجابهم بالحقائق الناصعة الدالة على البعثة النبوية ختام الرسالات.

ولا ينكر أحد أن محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أسباب غرس الإيمان في النفوس كما أشار إليه الحديث النبوي الشريف عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار﴾ (رواه أحمد والبخاري ومسلم، والترمذي والنسائي وابن ماجه)، يعد هذا الحديث من الأحاديث التي هي من دعائم الإيمان فقد بين أن المرء لا يتلذذ بالطاعة ويبدل جهده في رضا الله ورسوله إلا بمحبة الله تعالى ومحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع الأمرين الآخرين.

وأشار إلى مدخلية محبة الله تعالى ومحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الإيمان الإمامان الجليلان البخاري ومسلم حيث ذكر كل منهما هذا الحديث في كتاب الإيمان.

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين﴾ (رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه) قال القاضي عياض: "من محبته نصرته سنته، والذب عن شريعته وتمني حضور حياته فيبذل نفسه وماله دونه وبهذا يتبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا به ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إنافة قدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنزله على كل والد وولد، ومحسن ومتفضل، ومن لم يعتقد ذلك واعتقد سواه فليس بمؤمن".

ولتحقيق هذا المعنى في النفوس وإيثار محبته صلى الله عليه وآله وسلم على كل محبة حَبَّر الإمام البوصيري قصائده الرائعة، وقد منحه الله قوة بيان، وقدرة شعرية فائقة فاستطاع أن ينسج برودا شعرية فاق فيها الكثير ممن نظم في مدح صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام.

وقد نوه بالإمام البوصيري الكثير وعدوه إمام المديح النبوي وخصوا همزيته بالثناء، فقد وصفها شارحها العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي: (ورزقه الله من الشهرة والحظ ما لم يصل إليه أحد من أقرانه فرحمه الله ورضي عنه من قصيدته الهمزية المشهورة العذبة الألفاظ الجزلة المباني العجيبة الأوضاع البديعة المعاني، العديمة النظير، البديعة التحرير إذ لم ينسج أحد على منوالها، ولا وصل إلى حسناتها وكمالها حتى الإمام البرهان القيراطي (781) فإنه مع جلالته وتضلعه ... أراد أن يحاكيها ففاته الشنب، وانقطعت به الحيل عن أن يبلغ من معارضتها أدنى أرب. وذلك لطلاوة نظمها وحلاوة رسمها وبلاغة جمعها، وبراعة صنعها...)

انفردت الهمزية عن بقية المدائح النبوية الأخرى انفراداً ممتازاً فهي تبرز من السيرة النبوية وجهاً يتضمن من أوصاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يدعو إلى معرفته بحسب طاقتنا لا بحسب ما منحه الله من كمالات وجميل صفات ما عجز عن إدراكه البشر، في قالب بديع من حيث الإبراز في اللفظ البليغ، والمعنى الفائق، مما يجول بالنفس في جو يدعو إلى محبته صلى الله عليه وآله وسلم التي هي من كمال الإيمان، بل أسَّ الإيمان كما صرح به الحديثان المتقدمان حباناً الله حبه والعمل الصادق في خدمة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

من حياة البوصيري

أبو عبد الله محمد بن سعيد الصنّهاجي البوصيري المصري شرف الدين ولد سنة (608). يعد الإمام البوصيري حسنة من حسنات أبي العباس أحمد بن عمر الأنصاري المرسي (686) الواصل إلى الله والمُوصل إليه.

وممن وصل على يديه الإمام البوصيري فإنه بعد أن اشتغل بالوظيفة سلك طريق القوم بإمامة شيخه أبي العباس، والشيخ أبو العباس أخذ عن الولي الشهير أبي الحسن الشاذلي الحسني وهو عن الشيخ الولي الصالح عبد السلام بن مشيش وكان الشيخ ابن عطاء الله رفيقا له في السلوك على يد أبي العباس المرسي وكان سلوكه الصوفي من طريق المحبة النبوية فتمثلت في ذاته تلك المحبة النبوية وأراد تحقيقها في النفوس فنظم قصائد عدة في المدح النبوي وكل قصيدة من هذه القصائد ذات طابع خاص.

ومن أشهر هذه القصائد قصيدة البردة ذات البركة العميمة وقد اعتنى الناس بها شرقا وغربا وقصيدته الهمزية القصيدة العصماء وهي ذات امتياز كما قدمنا وقد اعتنى بها المعتنون شرحا ومحاكاة.

فمن شروحها شرح الإمام أحمد بن محمد الهيثمي الشهير بابن حجر (974) وهو شرح جليل طرق فيه بحثا محررة فائقة، وحلل القصيدة تحليلا شافيا، كشف فيه عن معانيها العجيبة مع فوائد جمة.

وقد اعتنى بهذا الشرح فكتب عليه الشيخ محمد الحفني حاشية، واختصره الشيخ سليمان الجمل، واشتهر هذا الشرح أيما اشتهار، وأقبل عليه المطالعون كما كتب على الهمزية من أهل المغرب الشيخ محمد بن أحمد بنيس شرحا حافلا. وقد انتفعت بهذه التحريرات في تعليقي هذا على الهمزية.

وما ذكرته من أشهر شروحها الكثيرة العديدة، ولكل شارح مميزاته العديدة.

وللبوصيري قصيدة أخرى، وهي التي فند فيها أكاذيب اليهود والنصارى، وسماها (المخرج والمردود على النصارى واليهود) ناقشهم فيها مناقشة عارف بكتبهم، ورد عليهم رد دارس للتوراة والإنجيل، مطلعها:

جاء المسيح من الإله رسولا فآبى أقل العالمين قبولا
وعلق عليها ناظما تعليقا أشار فيه إلى ما استخرجه من التوراة والإنجيل، فهو قد ذب عن الجانب النبوي الشريف ذب محب صادق عالم بالأديان، وعارف بتحريف اليهود والنصارى، وله غير ذلك من القصائد الرائعة التي حواها ديوانه الحافل البديع.

وفاته:

ذكر المقرئ أن توفى سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة، لكن الحافظ ابن حجر صوب أنه توفي سنة أربع وتسعين وستمائة. رحمه الله رحمة واسعة وجازاه خير الجزاء على مدحه النبوي البليغ الفائق الرائع.

أنظر فوات الوفيات لابن شاعر الكتبي (ج3ص362) والوفاي بالوفيات للصفدي (ج3ص105).

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة موجزة للعلامة الجليل والمحدث النحرير سيدي محمد الشاذلي النيفر

اسمه وكنيته:

هو شيخنا العلامة البارع الأصولي المتفنن المحدث التحرير والشاعر اللغوي الكبير الأستاذ الشهير أحد أساطين العلم في تونس المعمورة ووحيد عصره وسيد عصره الشيخ المعمر والسيد الغضنفر، قيدوم المذهب المالكي الأشعري الجلد، أبو المكارم أو أبو الطاهر محمد الشاذلي ابن العلامة النقاعة قاضي الجماعة بتونس المرحوم الشيخ محمد الصادق النيفر وينتهي نسبه من ناحية الأب إلى العارف بالله الإمام أحمد الرفاعي وأمه من عائلة الولي الصالح المشهور في البلاد التونسية سيدي علي عزوز.

مولده:

وُلد حفظه الله ورعاه في سنة 1325 هجري الموافق له 1908 رومي كما أقره هو بنفسه وذلك خلافاً لما هو معروف عند أكثر الناس. وكانت ولادته في مدينة تونس المحمية حماها الله وحرسها من كل بليّة.

نشأته:

نشأ شيخنا في بيت عريق في العلم والصلاح وتلقى تربية قرآنية منذ فجر حياته برعاية مؤدبين فضلاء فتعلم منهم مبادئ القراءة والكتابة واللغة العربية ثم انتقل إلى المدرسة القرآنية التي أنشأها المصلح المرحوم الشاذلي المورالي لتعليم الناشئة المسلمة مبادئ العلوم الشرعية والعربية، ثم انتقل شيخنا إلى جامع الزيتونة المعمور محط أنظار طلبة العلم في تونس وشمال إفريقيا وذلك في سن مبكرة جداً، إذ تحول من المدرسة القرآنية إلى الزيتونة وعمره ثلاث عشرة سنة، وفيها كرع وتلقى العلوم على خيرة علمائها وكان من أول الذين انتفع بهم والده العلامة قاضي الجماعة المحدث محمد الصادق النيفر حيث كان أول من أجازته في الحديث، وعنه تعلم الكتابة العلمية، وحضر دروسه الحافلة فقرأ عليه عارضة الأحوذى شرح صحيح الترمذي ودرّس حديثية أخرى وبه تخرج بهذا الفن وحضر شرح التنقيح للقرافي وغيره من كتب الأصول ومصطلح الحديث وشرح صحيح مسلم كما تلقى فنوناً كثيرة مثل الأجرومية وقطر الندى والألفية بشروحها في النحو، ومختصر خليل، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني بشروحها الحافلة، ومختصر ابن عاشر في التوحيد والفقہ والتصوف، والسلم في المنطق بحاشية الصبان، وتفسير البيضاوي، وطالع البشرى، وبغية المريد، والعقائد النسفية بشرح سعد الدين التفتازاني، وما سوى ذلك من العلوم التي تدرس في الجامع المعمور على جلة من العلماء الأعلام.

رحلاته:

ارتحل الشيخ إلى كثير من البلدان رغبة في لقاء الشيوخ وتوسيع دائرته العلمية وذلك عن طريق الاحتكاك ولقاء الأفاضل فدخل بلاد الشام فلسطين لبنان وسوريا والأردن وخاصة بيت المقدس. ثم دخل العراق وبلاد الحجاز، حاجاً ومعتماً عشرات المرات بل له سنة متبعة في ذلك ما تخلف عنها إلا في سنيته الأخيرة وذلك بسبب الشيخوخة، ودخل باكستان والهند، وبلاد شرق آسيا مثل اندونيسيا ودرّس فيها وبلاد البوسنة والهرسك وذلك رغبة وحرصاً منه على التلقي والانتفاع والنفع.

تدرّسه:

درّس الشيخ في الجامع الأعظم العديد من العلوم منها النحو، والبلاغة وخاصة شرح مختصر السعد، والتاريخ، والحديث، وطبقات الرجال، والفقہ، وخاصة شرح الدردير على سيدي خليل، والتفسير بشرح الجلالين، ودرّس في الصادقية وترشّح المعلمين.

شيوخه:

تلقى شيخنا صاحب الترجمة العلوم على كثير من المشايخ نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

شيوخه من تونس:

- 1- والده قاضي الجماعة العلامة الشيخ محمد الصادق النيفر.
- 2- شيخ الإسلام المالكي علامة الدنيا في المعقول والمقاصد والأصول محمد العزيز جعيط.
- 3- قاضي الجماعة العلامة المرحوم الشيخ البشير النيفر.
- 4- العلامة الشيخ الحطاب بوشناق.
- 5- العلامة محمد العربي الماجري.
- 6- العلامة المحدث حافظ المذهب في البلاد التونسية محمد الزغواني.
- 7- شيخ الجامع اللغوي الكبير المفسر الأصولي محمد الطاهر بن عاشور.

شيوخه من المغرب:

- 1- العالم الرحالة المسند الشريف عبد الحي الكتاني صاحب فهرس الفهارس.
- 2- الشيخ محمد الحجوي.
- 3- الشيخ محمد بن محمد الحجوجي الحسني.

شيوخه من بلاد الحجاز:

- 1- محدث الحرمين الشريفين المسند العلامة والحبر الفهامة سيدي عمر حمدان المحرسي.
- 2- الشيخ أبو علي حسن محمد المشاط المكي صاحب التأليف العديدة والأقوال السديدة.
- 3- مسند العصر محمد ياسين الفاداني كما وسمه شيخنا عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله وغيرهم كثير وفي ذكر هؤلاء الأعلام كفاية إذ هم رؤوس الدراية والرواية.

مؤلفاته:

للشيخ مؤلفات كثيرة منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط وهذه بعض منها:

- 1- رسالة في التجنس.
 - 2- بارود المنتزه مدينة الملك.
 - 3- مناقب محرز بن خلف.
 - 4- رسالة في الكلام عن الصفة النفسية.
 - 5- رسالة في تحريم الخمر.
- وأخرج كثيراً من نفائس المخطوطات وحققها مثل:
- 1- المعلم بفوائد مسلم للإمام المازري.
 - 2- قطعة من موطأ ابن زياد وهو من أهم الموطآت وعليه فوائد كثيرة من تحقيقاته.
 - 3- أم القرى في مدح خير الوري.
 - 4- الشفراطسيّة في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
 - 5- مسامرات الظريف في حسن التعريف للإمام السنوسي زاد فيه ترجمة والده.
 - 6- إصابة الغرض وإزالة الشبهة عن اعترض للشيخ قويسم.

وله ديوان يسر الله طبعه للتداول بين أيدي الناس وأهم ما في هذا الديوان النبويات وأخص ما في النبويات التوسلات ومنها قوله:

إليك رسول الله أرفع حاجتي
فهذه الكروب قد أحاطت بساحتي
وإنني راج قد وقفت ببابكم
وإن رجائي في إزالة كربتي

قاله أثناء مرضه بالتيفوئيد وهو ابن خمسة عشر سنة فبرء.

وخرج أخيراً كتاب لمجموعة من علماء تونس اسمه "دراسات" ذكروا فيه كثيراً من مناقب الشيخ وهو خاص به.

خصائصه:

امتاز شيخنا بخلق حضاري رفيع المستوى قل نظيره ، وكرم حاتمي بضيوفه وزائريه، فيتحمل هفواتهم في سماحة وصبر ويبدل في إكرامهم كل نفيس، فبارك الله له في حياته وعمره وأنتفع بطول عمره غاية الإنتفاع كما جاء في الحديث. فجازاه الله عنا وعن المسلمين ما جازى به العلماء والصالحين بمنه وكرمه أمين.

وفاته:

بعدما تم دراسة وتحقيق الصلاة المشيشة للقطب سيدي عبد السلام بن مشيش شرح العلامة الخروبي وذلك على يد مولانا الشيخ محمد الشاذلي النيفر رحمه الله بمساعدة الفقير إلى ربه العلامة أحمد بن منصور قرطام دخل الشيخ رحمه الله مصحة التوفيق في الضاحية الغربية لتونس وذلك إثر نوبة صدرية حادة وادخل العناية المركزة إلى أن توفاه الله سبحانه وتعالى وذلك يوم الخميس على الساعة 4.30 صباحاً 4 شعبان 1418 هجري الموافق له 1997/12/4 رومي ووقف على تغسيله العبد الفقير العلامة أحمد بن منصور قرطام بحضرة ابنه عبد العظيم والحبيب منير خلف وسيدتين آخرين قاما بمشاركته وتم تشييع جثمانه الطاهر من منزله الكائن في منطقة مونفلوري من الضاحية الجنوبية للعاصمة التونسية باتجاه مقبرة الجلاز حيث مثواه الأخير وذلك يوم الجمعة المبارك 5 شعبان 1418 هـ الموافق له 1997/12/4 مع الساعة العاشرة صباحاً بحضور عدد حاشد من الجماهير التونسية والشخصيات المحلية من علماء ووزراء ونواب ومفكرين ومتقنين وسفراء كثر من الدول العربية والإسلامية كالمغرب والأردن وأندونيسيا وماليزيا وغيرهم وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مكانة الشيخ من قلوب الخاصة والعامة، وبعد وصوله إلى مقبرة الجلاز صلى عليه مفتي الجمهورية التونسية فضيلة العلامة الشيخ محمد مختار السلامي وأبنته وزير الشؤون الدينية على الشابي وقام بدفنه رحمه الله كل من ابناؤه محمد الطاهر وعبد المهيمن وعياض وعبد العظيم وأنس بن العربي العنابي والعبد الفقير العلامة أحمد منصور قرطام إلى أن تم موارته تحت الثرى وتلقيه تغمده الله برحمته وجزاه عنا وعن المسلمين كل خير وبذلك قد فقد التونسيون خاصة والمسلمون عامة أحد أهم أقطاب العلم في هذا القرن والله الأمر من قبل ومن بعد وإنا لله وإنا إليه راجعون.

نفعا الله بعلمه وأفاض علينا من بركاته

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إعداد:

قسم البحوث والدراسات

جمعية آل البيت للتراث والعلوم الشرعية

27 رمضان 1428 هجري الموافق له 8 أكتوبر 2007 رومي.

أم القرى في مدح خير الورى (القصيدة الهمزية)

سمو المقام النبوي

كَيْفَ تَرْقَى رُقَيْكَ الْأَنْبِيَاءُ	يَا سَمَاءَ مَا طَوَّلْتَهَا سَمَاءُ ⁽¹⁾
لَمْ يُسَاوُوكَ فِي عُلاكَ وَقَدْ حَا	لَ سَنَا مِنْكَ دُونَهُمْ وَسَنَا ⁽²⁾
إِنَّمَا مَثَلُوا صِفَاتِكَ لِلنَّاسِ	سَ كَمَا مَثَلَ النُّجُومَ الْمَاءُ ⁽³⁾
أَنْتَ مِصْبَاحٌ كُلُّ فَضْلٍ فَمَا تَصُدُّ	ذُرُّ إِلَّا عَنِ ضَوْوِكَ الْأَضْوَاءُ ⁽⁴⁾
لَكَ ذَاتُ الْعُلُومِ مِنْ عَالِمِ الْغَيْبِ	بِ وَمِنْهَا لِأَدَمَ الْأَسْمَاءُ ⁽⁵⁾

نسبه وميلاده

لَمْ تَزَلْ فِي ضَمَائِرِ الْكَوْنِ نُحْتَا	رُ لَكَ الْأَمَّهَاتُ وَالْأَبَاءُ ⁽⁶⁾
مَا مَضَتْ قُرَّةٌ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا	بَشَّرَتْ قَوْمَهَا بِكَ الْأَنْبِيَاءُ ⁽⁷⁾
تَتَّبَاهَى بِكَ الْعُصُورُ وَتَسْمُو	بِكَ عَائِيَاءُ بَعْدَهَا عَائِيَاءُ ⁽⁸⁾
وَبَدَا لِلْوُجُودِ مِنْكَ كَرِيمٌ	مِنْ كَرِيمِ آبَاؤُهُ كَرَمَاءُ ⁽⁹⁾
نَسَبٌ تَحْسِبُ الْعُلا بِحُلَاهُ	قَلْدَتْهَا نُجُومَهَا الْجَوَازَاءُ ⁽¹⁰⁾
حَبَّذَا عِقْدُ سُودِدٍ وَقَخَارِ	أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصْمَاءُ ⁽¹¹⁾

- (1) كيف: استفهام مراد به النفي، أي لا ترقى رُقَيْكَ الأنبياء، ويا سماء: أي يا مرتبة ما طاولتها ما غالبتها سماء الأنبياء.
- (2) أي لم يساوه في شرفه الأنبياء لما منعهم من اللحاق به، سنا وسناء وهما الضوء والرفعة.
- (3) ومعنى هذا البيت أن الواصفين لضبط صفاتك مثلهم في وصفهم كتمثيل الماء للنجوم.
- (4) ومعنى البيت: أنت كالمصباح في الكمالات، ومنه تستمد.
- (5) يفيد هذا البيت أن آدم علم الأسماء وأنت علمت الأسماء والمسميات.
- (6) فكما طابت ذاته طاب نسبه.
- (7) أشار في هذا البيت إلى تبشير الأنبياء ببعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
- (8) تتباهي بك العصور: تفتخر.
- (9) وبدا للوجود منك كريم: ظهر للوجود منك بوجودك كريم سالم من النقص، والكرم متسلسل فيه من أبويه ومن فوقهما.
- (10) فنسبه كامل فمن تأمل فيه حسبه كالنجوم التي قلدتها الجوزاء حلاها.
- (11) معناه: نسبه صلى الله عليه وآله وسلم كالقلادة من الجواهر وهو واسطتها.

- وَمَحِيًّا كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُضِيًّا
 لَيْلَةَ الْمَوْلِدِ الَّذِي كَانَ لِلدَّيِّ
 وَتَوَالَتِ بُشْرَى الْهَوَاتِفِ أَنْ قَدْ
 وَتَدَاعَى إِيوَانُ كِسْرَى وَلَوْلَا
 وَغَدَا كُلُّ بَيْتِ نَارٍ وَفِيهِ
 وَعُيُونٌ لِلْفَرَسِ غَارَتْ فَهَلْ كَا
 مَوْلِدٌ كَانَ مِنْهُ فِي طَالِعِ الْكُفْرِ
 فَهَنِيئًا بِهِ لِأَمْنَةِ الْفَضْلِ
 مَنْ لِحَوَاءِ أَتَهَا حَمَلَتْ أَحْمَدُ
 يَوْمَ نَالَتْ يَوْضَعِهِ ابْنَةٌ وَهَبِ
 وَأَتَتْ قَوْمَهَا بِأَفْضَلِ مِمَّا
 شَمَّتُهُ الْأَمْلاكُ إِذْ وَضَعَتْهُ
 رَافِعًا رَأْسَهُ وَفِي ذَلِكَ الرَّقْفِ
- أَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلَةَ غَرَاءِ (12)
 مِنْ سُرُورٍ بِيَوْمِهِ وَأَزْدِهَاءِ (13)
 وَوَلِدِ الْمُصْطَفَى وَحَقَّ الْهَنَاءِ (14)
 آيَةً مِنْكَ مَا تَدَاعَى الْبِنَاءِ (15)
 كُرْبَةً مِنْ حُمُودِهَا وَبَلَاءِ (16)
 نَ لِنِيِرَانِهِمْ بِهَا إِطْقَاءِ (17)
 ر وَبَالٍ عَلَيْهِمْ وَوَبَاءِ (18)
 لُ الَّذِي شُرِفَتْ بِهِ حَوَاءِ (19)
 مَدَّ أَوْ أَتَهَا بِهِ نَفْسَاءِ (20)
 مِنْ فَخَارِ مَا لَمْ تَنَلَهُ النِّسَاءِ (21)
 حَمَلَتْ قَبْلَ مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ (22)
 وَشَقَّائِنَا بِقَوْلِهَا الشَّقَاءِ (23)
 مَعَ إِلَى كُلِّ سُؤْدَدٍ إِيْمَاءِ (24)

(12) ومحيا معطوف على عقد، أي حبذا محيا مثل الشمس أسفرت عنه ليلة المولد الغراء.

(13) فلييلة المولد ليلة شرفت بميلاده فكان للدين سرور بيومه وافتخار.

(14) أفاد أنه تتابعت البشارة من الهواتف بميلاده، والهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته ولا يرى شخصه.

(15) ومن آيات ميلاده إشراف إيوان كسرى على السقوط وسقوط أربع عشرة شرافة.

(16) ومن آيات الميلاد خمود نار بيوت الفرس التي كانوا يعبدونها.

(17) ومن عجائب ميلاده صلى الله عليه وآله وسلم أن عيون الماء غارت.

(18) ومنها أن هذا المولود دل على وبال الكفر.

(19) ثم هنا أمة بالفضل الذي حصل لها وثبتت، وهي أمانة بنت وهب.

(20) ثم إن حواء وان اشتركت مع أمانة في الشرف فأمانة أشرف.

(21) وقد نالت أمانة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بسبب الميلاد ما لم تنله النساء.

(22) وأتت أمانة قومها بأفضل مما ولدته مريم وهو عيسى عليه السلام.

(23) شمته الملائكة: قالت له رحمك الله، والشفاء قابلتة، وهي أم عبد الرحمن ابن عوف أحد المبشرين بالجنة، وقولها ما أخرجه أبو نعيم وخلصته إرهابات ميلاده.

(24) أفاد أن رفع النبي رأسه حين الولادة إشارة إلى رفعته وسيادته.

رَامِقًا طَرْفُهُ السَّمَاءَ وَمَرَمَى
عَيْنٍ مَن شَأْنُهُ الْعُلُوُّ الْعَلَاءُ⁽²⁵⁾
وَتَدَلَّتْ زُهُرُ النُّجُومِ إِلَيْهِ
فَأَضَاءَتْ بِضَوْئِهَا الْأَرْجَاءُ⁽²⁶⁾
وَتَرَاءَتْ قُصُورٌ قِيَصَرَ بِالرُّو
مَ يَرَاهَا مَن دَارُهُ الْبَطْحَاءُ⁽²⁷⁾

رضاعه وعجائبه

وَبَدَّتْ فِي رِضَاعِهِ مُعْجَزَاتٌ
لَيْسَ فِيهَا عَنِ الْعِيُونِ خَفَاءُ⁽²⁸⁾
إِذْ أَبَتْهُ لِيُثِمِّمَهُ مَرْضِعَاتٌ
قُلْنَ مَا فِي الْيَتِيمِ عَنَّا غَنَاءُ⁽²⁹⁾
فَأَتَتْهُ مَن آلِ سَعْدٍ فَتَنَاءُ
قَدْ أَبَتْهَا لِفَقْرِهَا الرُّضْعَاءُ⁽³⁰⁾
أَرْضًا عَنَّهُ لِبَانِهَا فَسَقَتْهَا
وَبَنِيَهَا أَلْبَانُهُنَّ الشَّاءُ⁽³¹⁾
أَصْنَبَحَتْ شُؤلاً عِجَافاً وَأَمْسَتْ
مَا بِهَا شَائِلٌ وَلَا عَجْفَاءُ⁽³²⁾
أَخْصَبَ الْعَيْشُ عِنْدَهَا بَعْدَ مَحَلِّ
إِذْ غَدَا لِلنَّبِيِّ مِنْهَا غِذَاءُ⁽³³⁾
يَا لَهَا مِنَّةٌ لَقَدْ ضُوعِفَ الْأَجْرُ
رُ عَلَيْهَِا مِنْ جِنْسَهَا وَالْجَزَاءُ⁽³⁴⁾
وَإِذَا سَاخَرَ الْإِلَهُ أَنْسَاءُ
لِسَعِيدٍ فَالِيَهُمْ سُعْدَاءُ⁽³⁵⁾
حَبَّه أُنْبَتَتْ سَنَايِلَ وَالْعَصْدُ
فُ لَدَيْهِ يَسْتَشْرِفُ الضُّعْفَاءُ⁽³⁶⁾

(25) وفي وضعه وبصره ناظر إلى السماء إشارة إلى أنه لا يقصد إلا أعلى المراتب.

(26) وحين وضعه تدلت وندت النجوم المضيئة فأضاءت بضوئها نواحي السماء.

(27) ومن آيات ميلاده أن قصور قيصر رينت فرأها من داره بمكة.

(28-30) ابتدأ من هنا في ذكر عجائب رضاعه ومعجزاته فأفاد أنه ظهرت برضاعه معجزات لا تخفى، والمعجزة هي الأمر الخارق للعادة، ويسمى ما قبل البعثة: إرهاباً، وبعدها: معجزة، وقد أبته المرضعات ليطمه، والغناء النفع، وإنما نشأ يتيماً لئلا يكون في عنقه حق، وبعد أن تركته المرضعات جاءت من آل سعد فتاة هي حليلة السعدية وأرضعته.

(31) ومن كرامة هذا المولود أن حليلة بعدما كانت في جدد سقتها الشاء وهي جمع شاة.

(32) ومن كرامته أيضاً أن الشاء كانت لا لبن لها وهي عجاف أي هزيلة فلما أمست ليس فيها شائل ولا عجفاء، فتبدل الحال.

(33) الخصب ضد الجدد. ومن كرامته أن العيش أخصب بعد الجدد عند حليلة، وخصوبة العيش كثرة القوت، والمحل: شدة الجدد وانقطاع المطر.

(34) قد تعجب من منة حليلة بالإرضاع دون أجر فجزاها الله بالخصب بعد المحل.

(35) وإذا وفق الله أناساً لخدمة سعيد فإنهم بسبب ذلك سعداء.

(36) وشبهه الناظم ما حصل لها من الخير مع أن ما قدمته قليل بالحبة المبذورة التي تضاعف إنتاجها والعصف الورق اليابس.

- وَأَتَتْ جَدَّهُ وَقَدْ فَصَلَتْهُ
وَإِذَا حَاطَتْ بِهِ مَلَائِكَةُ اللَّهِ
وَرَأَى وَجَدَهَا بِهِ وَمِنْ الْوَجْدِ
فَارَقَتْهُ كَرِهًا وَكَانَ لَدَيْهَا
شَقٌّ عَنِ قَلْبِهِ وَأَخْرَجَ مِنْهُ
خَتْمَهُ يُمْنَى الْأَمِينِ وَقَدْ أَوْ
صَانَ أَسْرَارَهُ الْخِتَامُ فَلَا الْقَـ
- وَبِهَا مِنْ فِصَالِهِ الْبُرْحَاءُ (37)
هِ فَظَلَّتْ بِأَنَّهُمْ فَرَنَاءُ (38)
دِ لَهَيْبٍ تَصَلَّى بِهِ الْأَخْشَاءُ (39)
تَأْوِيًا لَا يُمَلُّ مِنْهُ النَّوَاءُ (40)
مُضْغَةً عِنْدَ غَسْلِهِ سَوْدَاءُ (41)
دِعَ مَالِمٌ تُدْعَى لَهُ أَنْبَاءُ (42)
ضٌ مُلِمٌّ بِهِ وَلَا الْإِفْضَاءُ (43)

نشأته في حال طفولته وما بعدها

- أَلْفَ النَّسْكَ وَالْعِبَادَةَ وَالْخَلَاءِ
وَإِذَا حَلَّتِ الْهَدَايَةُ قَلْبًا
- وَةَ طِفْلًا وَهَكَذَا النَّجَبَاءُ (44)
نَشِطَتْ لِلْعِبَادَةِ الْأَعْضَاءُ (45)

حجب الشياطين عند دنو البعثة

- بَعَثَ اللَّهُ عِنْدَ مَبْعَثِهِ الشُّهُ
تَطْرُدُ الْجِنَّ عَنْ مَقَاعِدِ السَّمِّ
فَمَحَتِ آيَةَ الْكَهَانَةِ آيَا
- بَ حِرَاسًا وَضَاقَ عَنْهَا الْفَضَاءُ (46)
عَ كَمَا تَطْرُدُ الذُّبَابَ الرَّعَاءُ (47)
تُ مِنَ الْوَحْيِ مَا لَهْنٌ امِحَاءُ (48)

(37) وحين أرجعته لجدته كان وحدها لفراقه التآلم الكثير وهو البرحاء.

(38) وأرجعته لجدته حين خافت عليه عندما أتته الملائكة الذين شقوا صدره.

(39) ورأى جده عبد المطلب شدة وجدها ومحبتها له فرده لها وهذا في المرة الأولى.

(40) وحين ردت حليمة المرة الثانية خوفاً عليه من الجن لما شق صدره لم يرجعه إليها جده ففارقته كرها.

(41) لما فرغ من قصة رضاعه ذكر قصة شق صدره وإخراج مضغة سوداء منه، والمضغة قطعة لحم قدر ما يمضغ.

(42) ثم بعد شق صدره لأمنه وأعادته يميني الأمين أي جبريل وأودع فيه ما لم تحط به أخبار.

(43) حفظ أسرار قلبه المودع فيه الختام الواقع من جبريل فلا يناله الكسر ولا الإشاعة.

(44) وقد أثر شق قلبه فألف العبادة والخلوة وهكذا النجباء.

(45) وإنما كان هذا شأن النجباء لأن الهداية إذا حلت القلب نشطت الأعضاء.

(46) لما دنا مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحرست السماء بالشهب، وهي جمع شهاب، وهو شعلة من النار تنفصل من الكواكب تحرق الشيطان.

(47) وهذه الشهب تطرد الجن الذين يجلسون في أمكنة قريبة لاستراق السمع كما يطرد الرعاة الذناب العادية.

(48) وبسبب ذلك محت آيات الوحي الكهانة، وآيات الوحي لا ينالها المحو.

- وَرَأَيْتُهُ خَدِيجَةً وَالتَّقَى وَالْ—
 وَأَتَاهَا أَنَّ الْعَمَامَةَ وَالسَّرَّ
 وَأَحَادِيثُ أَنْ وَعَدَ رَسُولُ
 فَدَعَا إِلَى الزَّوْجِ وَمَا أَحْمُ
 وَأَتَاهُ فِي بَيْتِهَا جَبْرَيْلُ
 فَأَمَاطَتْ عَنْهَا الْخِمَارَ لِتَذْرِي
 فَاخْتَفَى عِنْدَ كَشْفِهَا الرَّأْسِ جَبْرِي—
 فَاسْتَبَانَ خَدِيجَةً أَنَّ الْكَنْزَ
- زُهِدٌ فِيهِ سَاحِيَّةٌ وَالْحَيَاءُ (49)
 حَ أَظْلُتُهُ مِنْهُمَا أَقْبَاءُ (50)
 اللَّهُ بِالْبَعْثِ حَانَ مِنْهُ الْوَقَاءُ (51)
 سَنَّ مَا يَبْلُغُ الْمُنَى الْأَذْكِيَاءُ (52)
 وَلِذِي اللَّبِّ فِي الْأُمُورِ ارْتِيَاءُ (53)
 أَهُوَ الْوَحْيُ؟ أَمْ هُوَ الْإِغْمَاءُ (54)
 لُ قَمَا عَادَ أَوْ أُعِيدَ الْغِطَاءُ (55)
 زُ الَّذِي حَاوَلْتُهُ وَالْكَيمِيَاءُ (56)

الجد في نشر الدعوة

- ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ
 أُمَّمًا أَشْرَبَتْ فُلُوبُهُمُ الْكُفْرَ
 وَرَأَيْتُهَا آيَاتِهِ فَاهْتَدَيْنَا
- وَفِي الْكُفْرِ نَجْدَةٌ وَإِبَاءُ (57)
 رَ فِدَاءُ الضَّلَالِ فِيهِمْ عِيَاءُ (58)
 وَإِذَا الْحَقُّ جَاءَ زَالَ الْمِرَاءُ (59)

(49) أفاد هذا البيت وما بعد زواجه بخديجة رضي الله عنها، وذكر هنا أن الذي دعاها إلى الزواج به ما عرفته من سجايه الكريمة من التقى والزهد، والحياء، وخديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي.

(50) أتى الخبر إلى خديجة أن كرامتين عظيمتين وقعتا له صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة:

1- أن الغمامة أظلتها، والغمامة هي السحابة.

2- أن السرح وهي الشجر العظام أظلتها حين مال إليه الفيء منها حين وصلوا إلى بحيرا.

(51) وأتى خديجة أن وقت البعثة قرب.

(52) وبسبب ما رأته منه وما بلغها عنه رغبت في الزواج به، فقد أدركت بزواجها بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبب ذكائها ما تمنته وأملته.

(53) ومما يدل على عظم ذكائها أن جبريل لما أتى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحببت أن تنتقل من علم اليقين إلى عين اليقين. وعلم اليقين علم الحاصل من الدليل، وعين اليقين العلم الحاصل بالمشاهدة وصاحب العقل له استبصار.

(54) وحين جاء جبريل أزاحت عن رأسها الخمار وهو ما يغطي به الرأس لتشاهد وبذلك تتبين أنه وحي لا إغماء.

(55) واختفى جبريل عند كشف رأسها ولم يعد إلا بعد تغطية رأسها.

(56) وبسبب ما ترتب على ذلك علمت أنه الكنز الذي رغبت فيه.

(57) جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نشر الدعوة رغم تحزب الكفرة لما نزل عليه قوله تعالى: "يا أيها المدثر قم فأندر".

(58) أممًا: مفعول يدعو، وأفاد أن الأمم أي الجماعات التي يدعوها تمكن الكفر فيها فداء الكفر فيهم لا يرجى برؤه.

(59) أشار في هذا البيت إلى أمة الإجابة وهم الذين شاهدوا معجزاته فاهتدوا وهم الصحابة ومن بعدهم لأنه إذا جاء الحق زال العناد.

تِكَ نُورٌ تَهْدِي بِهِ مَنْ تَشَاءُ (60)
 هِمَّ مَا لَيْسَ يُلْهَمُ الْعُقْلَاءُ (61)
 لَمْ يَنْفَعِ الْحَجَابَ وَالذِّكَاةُ (62)
 رَسَّ عَنْهُ لِأَحْمَدَ الْفُصْحَاءُ (63)
 أَلْفَتْهُ ضِيبَابُهَا وَالظَّبَّاءُ (64)

رَبِّ إِنَّ الْهُدَى هُوَ ذَاكَ وَإِيَّا
 كَمْ رَأَيْنَا مَا لَيْسَ يَعْقِلُ قَدْ أَنْ
 إِذْ أَبَى الْفَيْلُ مَا أَتَى صَاحِبُ الْفَيْلِ
 وَالْجَمَادَاتُ أَفْصَحَتْ بِالَّذِي أَخْ
 وَيَحَ قَوْمٌ جَفَوْا نَبِيًّا بِأَرْضِ

الهجرة

وَقَلْبُوهُ وَوَدَّهُ الْعُرَبَاءُ (65)
 وَحَمْتُهُ حَمَامَةٌ وَرَقَاءُ (66)
 مَا كَفَّتُهُ الْحَمَامَةُ الْحَصْدَاءُ (67)
 هُ وَمِنْ شِدَّةِ الظُّهُورِ الْخَفَاءُ (68)
 قَتَّ إِلَيْهِ مِنْ مَغَّةِ الْأَنْحَاءُ (69)
 أَطْرَبَ الْإِنْسَ مِنْهُ ذَلِكَ الْغِنَاءُ (70)
 وَثَهُ فِي الْأَرْضِ صَافِنٌ جَرْدَاءُ (71)

وَسَالُوهُ وَحَنَّ جِدْعٌ إِلَيْهِ
 أَخْرَجُوهُ مِنْهَا وَأَوَاهُ غَارٌ
 وَكَفَّتُهُ بَنَسِجَهَا عَنكَبُوتٌ
 وَاخْتَفَى مِنْهُمْ عَلَى قُرْبٍ مَرَا
 وَنَحَى الْمُصْطَفَى الْمَدِينَةَ وَاشْتَا
 وَتَعَلَّتْ بِمَذْحِجِهِ الْجِنَّ حَتَّى
 وَاقْتَفَى إِثْرَهُ سُرَاقَةٌ فَاسْتَهَتْ

(60) الهدى بتوفيق الله تعالى كما أن الضلالة بمشيتته.

(61) ويدل على أن الهداية هداية الله أن ما لا يعقل قد ألهم ما ليس يعقله العقلاء.

(62) وذلك أن الفيل الذي جيء به لهدم الكعبة امتنع ما عزم عليه صاحبه وهو أبرهة.

(63) وكذلك حين امتنعت قريش من الإيمان أفصح الجماد كالجدع الذي حن إليه صلى الله عليه وآله وسلم.

(64) أهلك الله القوم الذين جفوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أنه أله الضب والغزال وحديثهما لا أصل لهما.

(65) وسلا عنه قومه وحن إليه الجدع الذي يستند إليه حين يخطب وأبغضوه وأحبه الغرباء وهم الأنصار: الأوس والخزرج الذين لقوه قبل الهجرة بثلاث سنين فتمت العقبات الثلاث.

(66) وحين أذن له صلى الله عليه وآله وسلم في الهجرة خرج من مكة واختفى في غار ثور ومعه أبو بكر، وحين دخل الغار أنبت الله عليه شجرة أم غيلان ووقف في فم الغار حمامتان.

(67) وكما حتمته الحمامتان كذلك حتمته العنكبوت بنسيجها والحمامة الحصداء كثيرة الريش.

(68) ولم يظفروا به حين اختفائه فكان من شدة الظهور الخفاء لعناية الله به وكان مكثه في الغار ثلاث ليال.

(69) قصد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة يوم الاثنين غرة ربيع الأول (13 سبتمبر 622م) ودخل قباء يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول (20 سبتمبر) وكانت مدة سفره ثمانية أيام.

(70) وتغنت الجن شعراً علم منه أهل بيت أبي بكر المكان المقصود من الهجرة.

(71) واتبع أثره سراقة بن مالك المدلجي وقد أسلم عام الفتح وحين دنا منهما عثرت به فرسه ثم قام فركبها فدعا عليه صلى الله عليه =

ثُمَّ نَادَاهُ بَعْدَمَا سَيِمَتِ الْخَسْفُ فَ وَقَدْ يُنْجِدُ الْغَرِيقَ النَّدَاءُ (72)

الإسراء والمعراج

فَطَوَى الْأَرْضَ سَائِرًا وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَا فَوْقَهَا لَهُ إِسْرَاءُ (73)
فَصِيفِ اللَّيْلَةِ الَّتِي كَانَ لِلْمُخْتَارِ فِيهَا عَلَى الْبُرَاقِ اسْتِوَاءُ (74)
وَتَرَقَّى بِهِ إِلَى قَابِ قَوْسَيْنِ مِنْ وَتِلْكَ السِّيَادَةُ الْقَعَسَاءُ (75)
رُتَبٌ تَسْفُطُ الْأَمَانِيَّ حَسْرَى دُونَهَا مَا وَرَاءَهُنَّ وَرَاءُ (76)
ثُمَّ وَاقَى يُحَدِّثُ النَّاسَ شُكْرًا إِذْ أَتَتْهُ مِنْ رَبِّهِ النَّعْمَاءُ (77)

التبليغ والدعاء إلى الله

وَتَحَدَّى فَارْتَابَ كُلُّ مُرَيْبٍ أَوْ يَبْقَى مَعَ السُّيُولِ الْعُتَاءُ (78)
وَهُوَ يَدْعُو إِلَى الْإِلَهِ وَإِنْ شَاقَّ عَلَيْهِ كُفْرِيهِ وَازْدِرَاءُ (79)
وَيَذُلُّ الْوَرَى عَلَى اللَّهِ بِالتَّوْحِيدِ وَهُوَ الْمَحَجَّةُ الْبَيْضَاءُ (80)

= وآله وسلم فغاصت قوائم فرسه في الأرض.

(72) وحين خسفت الأرض بفرس سراقه استنجد بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فدعا له فنجاه الله من الخسف لأن الغريق ينجده النداء.

(73) تحدث على الإسراء بعد الهجرة، وهو قبل الهجرة، وقد طويت له صلى الله عليه وآله وسلم الأرض والسماوات حين الإسراء والمعراج، والمعاريح عشرة.

(74) أمر الناظر أن يصف ليلة الإسراء والمعراج، والإسراء من مكة إلى بيت المقدس، والمعراج من بيت المقدس إلى السماء إلى ما شاء الله، وكان الإسراء والمعراج بالجسم والروح.

(75) وقرب صلى الله عليه وآله وسلم من ربه وشبه ذلك القرب المعنوي بقاب قوسين والقاب من القوس ما بين محل مسكه باليد عند الرمي وهو وسطه وبين آخره وهو المحل الذي يربط فيه الوتر.

(76) ونوه بهذه الرتب العظيمة الجليلة التي نالته في تلك الليلة ولا تصل لتلك الرتب الأمانى.

(77) ثم إنه عليه الصلاة والسلام لما وصل مكة قبل الصبح وحدث الناس بنعمة الله وهي كرامة الإسراء والمعراج وحين كذبوه ظهر صدقه بما أزال كل شيء.

(78) وتحدى كفار مكة بالإسراء والمعراج وغيره من معجزاته بما أعجزهم به فانقطعت حجتهم، وكيف يبقى مع السيل الجارف الغناء وهو ما يحمله السيل من النبات.

(79) تحدى صلى الله عليه وآله وسلم وهو يدعو إلى الله ومتحمل لمشقة الإنكار من الكفر والاستهزاء. وبرحمة الله سبحانه أنه أطاعه الكثير حين صبر على التبليغ وصار من أولئك الأبوة الحائدين عن الحق أكابر من الصحابة فزال الغي من قلوبهم.

(80) وهو يدل على توحيد الله تعالى كافة الخلق لأنه مرسل إليهم جميعاً وما دعا إليه هو الطريق الواضحة.

صَخْرَةٌ مِنْ إِبَائِهِمْ صَمَاءُ⁽⁸¹⁾
 بَعْدَ ذَلِكَ الْخَضْرَاءُ وَالْعَبْرَاءُ⁽⁸²⁾
 بَاءٌ وَالْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ⁽⁸³⁾
 رَى عَلَيْهِمُ وَالْغَارَةُ الشَّعْوَاءُ⁽⁸⁴⁾
 ثَلَاثَةٌ كَتَبَتْهُ خَضْرَاءُ⁽⁸⁵⁾

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَأَنْتَ
 وَأَسْتَجَابَتْ لَهُ يَنْصُرُ وَقَفَّحُ
 وَأَطَاعَتْ لِأَمْرِهِ الْعَرَبُ الْعَرُ
 وَتَوَالَتْ لِلْمُصْطَفَى الْآيَةُ الْكُنْبُ
 وَإِذَا مَا تَلَا كِتَابًا مِنَ اللَّهِ

كفاية الله تعالى له

ءَ نَبِيًّا مِنْ قَوْمِهِ اسْتَهْزَأُ⁽⁸⁶⁾
 الْبَيْتِ فِيهَا لِلظَّالِمِينَ فَنَاءُ⁽⁸⁷⁾
 وَالرَّادَى مِنْ جُنُودِهِ الْأَدْوَاءُ⁽⁸⁸⁾
 عَمَى مَيِّتٌ بِهِ الْأَحْيَاءُ⁽⁸⁹⁾
 أَنْ سَقَاهُ كَأْسَ الرَّادَى اسْتِسْقَاءُ⁽⁹⁰⁾
 قَصَّرَتْ عَنْهَا الْحَيَّةُ الرَّقْطَاءُ⁽⁹¹⁾
 صِي فَلَأَهُ النَّقْعَةُ الشُّوْكَاءُ⁽⁹²⁾

وَكَفَّاهُ الْمُسْتَهْزِئِينَ وَكَمْ سَاءَ
 وَرَمَاهُمْ بِدَعْوَةٍ مِنْ فَنَاءِ
 خَمْسَةَ كُلُّهُمْ أَصِيبُوا بِدَاءِ
 فَدَهَى الْأَسْوَدَ بْنَ مُطَلِّبِ أَيُّ
 وَدَهَى الْأَسْوَدَ بْنَ عَبْدِ يَغُوثِ
 وَأَصَابَ الْوَلِيدَ خَدَشَةً سَهُمْ
 وَقَضَتْ شَوْكَةً عَلَى مُهْجَةِ الْعَا

(81) وبرحمة الله سبحانه أنه أطاعه الكثير حين صبر على التبليغ وصار من أولئك الأبياء الحائدين عن الحق أكابر من الصحابة فزال الغي من قلوبهم.

(82) وبعد أن لانوا لدعوته صلى الله عليه وآله وسلم ودخل الناس في دين الله أفواجاً استجابت لدعوته الخضراء وهي السماء، والغبراء وهي الأرض أي استجاب له الرفيع والوضيع.

(83) وأطاعت أي استجاب له العرب العرباء وهم الخلف والجاهلية الجهلاء.

(84) وتوالى وتتابع له الآيات الكبرى الدالة على نبوته كالقرآن وانشقاق القمر وتوالى على الأعداء الغارة الشعواء أي المحيطة بهم.

(85) وإذا تلا صلى الله عليه وآله وسلم القرآن تبعه جيش عظيم.

(86) وكفاه ربه تعالى الذين اشتدوا إزابتهم له من المستهزئين وهم جماعة من قومه.

(87) وأصابهم صلى الله عليه وآله وسلم بدعوته فأهلكتهم حيث دعا عليهم بفناء الكعبة فأفناهم.

(88) وخص الناظم خمسة من المستهزئين وإن كانوا أكثر من ذلك مثل أبي لهب وعقبة بن أبي معيط، فأصابتهم أدواء أي أمراض.

(89) ثم شرع في ذكر الأمراض التي أصيبوا بها، فأصاب الأسود بن مطلق بن أسد العمى الذي أهلكه.

(90) كما دهى الأسود بن عبد يغوث بن وهب فحصل له استسقاء في جوفه فمات منه.

(91) وأصاب الوليد بن المغيرة خدشة سهم فتأكلت رجله فمات وهذه الخدشة أشد من السم.

(92) وقضت شوكة على العاص بن وائل دخلت في أخصم رجله فمات بسببها.

وَعَلَى الْحَارِثِ الْقُيُوحُ وَقَدْ سَا
لَ بِهَا رَأْسُهُ وَسَاءَ الْوَعَاءُ⁽⁹³⁾
خَمْسَةَ طَهَّرَتْ بِقَطْعِهِمُ الْأَرْضَ
ضُ فَكَفَّ الْأَذَى بِهِمْ شَلَاءً⁽⁹⁴⁾

نقض الصحيفة

فَدَيْتْ خَمْسَةَ الْأَصْحِيفَةَ بِالْخَمِّ
فَثِيَّةً بَيَّئُوا عَلَى فِعْلٍ خَيْرٍ
يَالَ أَمْرٍ أَتَاهُ بَعْدَ هِشَامٍ
وَزُهَيْرٍ وَالْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيِّ
نَقَضُوا مُبْرَمَ الصَّحِيفَةِ إِذْ شَا
أَذْكَرْتَنَا بِأَكْلِهَا أَكْلَ مَنْسَا
وَبِهَا أَخْبَرَ النَّبِيَّ وَكَمْ أَخْ
سَةَ إِنْ كَانَ بِالْكَرَامِ فِدَاءً⁽⁹⁵⁾
حَمِدَ الصُّبْحُ أَمْرَهُمْ وَالْمَسَاءُ⁽⁹⁶⁾
زَمَعَةَ إِنَّهُ الْفَتَى الْأَثَاءُ⁽⁹⁷⁾
وَأَبُو الْبُحْتَرِيِّ مِنْ حَيْثُ شَاءُوا⁽⁹⁸⁾
دَّتْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعِدَا الْأَنْدَاءُ⁽⁹⁹⁾
ةً سُؤْلِيْمَانَ الْأَرْضِ الْخَرَسَاءُ⁽¹⁰⁰⁾
رَجَّ حَبَّأَلَهُ الْعُيُوبُ خِبَاءً⁽¹⁰¹⁾

عناية الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم

لَا تَخَلْ جَانِبَ النَّبِيِّ مُضَامًا
كُلُّ أَمْرٍ نَابَ النَّبِيِّينَ فَالْشُّ
حِينَ مَسَّتُهُ مِنْهُمْ الْأَسْوَاءُ⁽¹⁰²⁾
دَّةً فِيهِ مَحْمُودَةٌ وَالرَّخَاءُ⁽¹⁰³⁾

(93) وقضت على الحارث مولى الطلائعة القيوح التي سالت من رأسه.

(94) فهؤلاء الذين استجيبت الدعوة فيهم طهرت منهم الأرض فكف الأذى شلاء بسبب هلاكهم.

(95) سأل الناظم أن يجعل الله سبحانه وتعالى الخمسة الهالكين للخمسة الذين نقضوا الصحيفة فداء. وقصة الصحيفة أن بني هاشم وبني المطلب لما امتنعوا من تسليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاطعتهم قريش بكتابة صحيفة في جوف الكعبة، وكان ذلك سنة 7 سابع من البعثة، فأقام المقاطعون سنتين أو ثلاثاً حتى اشتد عليهم البلاء، فقام هؤلاء الخمسة ونقضوا الصحيفة، وأشار إلى عزمهم على نقض الصحيفة في البيت التالي.

(96) فأخبر أنهم كرام دبروا نقضها، وحين أريد نقضها أكلتها الأرضة أي السوس.

(97) يا له من أمر أتاه هشام بن الحارث وبعده زمعة بن الأسود.

(98) ذكر في هذا البيت بقية الخمسة وهم زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأبو البحتري.

(99) فهؤلاء الكرام نقضوا ما أبرم في الصحيفة حين صممت عليه من العدا الأنداء جمع ناد، وهو العشييرة.

(100) أفاد أن لأكل الأرضة الصحيفة نظيراً هو أكلها لمنساء سليمان والمنساء: العصا.

(101) وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الأرضة أكلت صحيفة المقاطعة ولم تبق إلا اسمه تعالى، وكم أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمغيبات كظهور نار الحجاز.

(102) لا تظن جانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مضاماً أي مضيعاً حين مسه الأذى من المشركين.

(103) وما أصابه من الشدة له فيه أسوة بالأنبياء عليهم السلام، لكن كل أمر أصاب النبيين فالشدة محمودة لأنها ترفع درجاتهم، وكذلك =

ر لَمَّا اخْتِيرَ لِلنُّضَارِ الصَّلَاءُ (104)
 وَفِي الْخَلْقِ كَثْرَةٌ وَاجْتِرَاءُ (105)
 مِنْهُ فِي كُلِّ مَقْلَةٍ أَقْدَاءُ (106)
 فُوقُ وَقَاءٍ وَقَاءَتِ الصَّفَوَاءُ (107)
 لِي إِلَيْهِ كَأَنَّكَ الْعَنْقَاءُ (108)
 لِي وَقَدْ سَاءَ بَيْعُهُ وَالشَّرَاءُ (109)
 يُنْجِ مِنْهُ دُونَ الْوَقَاءِ النَّجَاءُ (110)
 مَا عَلَى مِثْلِهِ يُعَدُّ الْخَطَاءُ (111)
 رَجَاءَتِ كَأَنَّهَا الْوَرْقَاءُ (112)
 لِي مِنْ أَحْمَدٍ يُقَالُ الْهَجَاءُ (113)
 نَ تَرَى الشَّمْسَ مَقْلَةً عَمِيَاءُ (114)
 وَكَمْ سَامَ الشَّقْوَةَ الْأَشْقِيَاءُ (115)
 رَ يُنْطِقُ إِخْفَاؤُهُ إِنْ دَاءُ (116)

لَوْ يَمَسُّ النَّضَارَ هَوْنٌ مِنَ النَّا
 كَمْ يَدِ عَنِ نَبِيِّهِ كَفَّهَا اللَّهُ
 إِذْ دَعَا وَخَدَهُ الْعِبَادَ وَأَمْسَتْ
 هَمَّ قَوْمٌ يَقْتُلِيهِ قَابِي السَّيِّ
 وَأَبُو جَهْلٍ إِذْ رَأَى عُنُقَ الْفَخْرِ
 وَأَقْتَضَاهُ النَّبِيُّ دِينَ الْإِرَاشِي
 وَرَأَى الْمُصْطَقِي أَتَاهُ بِمَا لَمْ
 هُوَ مَا قَدْ رَأَهُ مِنْ قَبْلِ لَكِنْ
 وَأَعَدَّتْ حَمَالَةَ الْحَطَبِ الْفَهْرُ
 يَوْمَ جَاءَتْ غَضْبَى تَقُولُ أَفِي مِ
 وَتَوَلَّيْتُ وَمَا رَأَيْتُهُ وَمِنْ أَيِّ
 ثُمَّ سَمَّتْ لَهُ الْيَهُودِيَّةَ الشَّ
 فَأَذَاعَ الدَّرَاعُ مَا فِيهِ مِنْ شَ

= الرخاء.

- (104) الأنبياء كالذهب الذي لا يمسه العيب بعرضه على النار، فلا يلحقهم هوان بالشدائد التي تنالهم.
 (105) كم يد أرادت إذبايته فكفها الله عنه وخذلها، وفي الخلق أي المشركين كثرة إقدام.
 (106) فحين دعا كل العباد إلى عبادة الله وترك الجهالات، دعاهم وحده، وبصيرة من يدعوهم في رين كالعين الرمداء.
 (107) قد هم قوم بقتله صلى الله عليه وآله وسلم فامتنع السيف من ذلك، وكذلك الحجارة لم تصبه، والصفواء الحجارة.
 (108) وكذلك أبو جهل عمرو بن هشام هم بقتله فرأى ما هاله فأحجم، والعنقاء طير عظيم.
 (109) طلب صلى الله عليه وآله وسلم من أبي جهل أن يدفع دين الإراشي الذي باعه إبلا وماطله فلم يسع أبا جهل إلا أن يعطي الإراشي ما يطلبه لما رأى ما هاله وأخافه.
 (110) وقد علم أبو جهل أنه لا نجاة له إلا أن يؤدي دين الإراشي.
 (111) رأى أبو جهل في المرتين السابقتين فحلاً مهولاً ولكنه لم يتعظ فإن خطأه لا ينحصر.
 (112) وكذلك أم جميل بنت حرب حمالة الحطب أعدت الفهر أي الحجر لتضرب به النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
 (113) أعدت الحجر يوم جاءت غضبى حين نزلت فيها وفي زوجها سورة المسد.
 (114) لكنها حين جاءت لم تره، وأين ترى العين العمياء الشمس.
 (115) ثم بعد حفظه مما تقدم سمت له اليهودية الشاة في غزوة خيبر سنة سبع، ولم يخف عليه الأمر كما في البيت الآتي.
 (116) فأذاع الذراع له بأنه مسموم بنطق لم يسمعه من معه وإنما سمعه هو خاصة.

من أخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم ومحاسن صفاته

(117) لَمْ تُقَاصَّصْ بِجَرَحِهَا الْعَجَمَاءُ	وَبَخُلُقٍ مِّنَ النَّبِيِّ كَرِيمٍ
(118) نَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِيهِمْ رَبَاءُ	مَنْ فَضْلاً عَلَى هَوَازِنَ إِذْ كَا
(119) وَضَعَ الْكُفْرُ قَدْرَهَا وَالسَّبَاءُ	وَأَتَى السَّبِي فِيهِ أُخْتُ رَضَاعٍ
(120) سُبُّهُ أُنَمَّا السَّبَاءُ هِدَاءُ	فَجَبَّاهَا بِرَأً تَوَهَّمَتِ النَّا
(121) أَيُّ فَضْلٍ حَوَاهُ ذَلِكَ الرَّدَاءُ	بَسَطَ الْمُصْطَفَى لَهَا مِنْ رِذَاءٍ
(122) وَوَعْدَتُ فِيهِ وَهِيَ سَيِّدَةُ النَّسَبِ	فَعَدَّتْ فِيهِ وَهِيَ سَيِّدَةُ النَّسَبِ
(123) هِيَ اسْتِمَاعًا إِنَّ عَزَّ مِنْهَا اجْتِلَاءُ	فَتَنَزَّهَ فِي ذَاتِهِ وَمَعَانِيهِ
(124) هَذَا عَلَيْكَ الْإِنْشَادُ وَالْإِنْشَاءُ	وَأَمَّا السَّمْعُ مِنْ مَحَاسِنَ يُمْلِيهِ
(125) عَبَّ أَخْبَارَ الْفَضْلِ مِنْهُ ابْتِدَاءُ	كُلُّ وَصْفٍ لَهُ ابْتَدَأَتْ بِهِ اسْتَوْ
(126) فِي الْهُوَيَيْنَا وَتَوَمُّهُ الْإِعْقَاءُ	سَيِّدٌ ضِحْكُهُ النَّبَسُ وَالْمَشْدُ
(127) رَرَّ مُحْيَاهُ الرُّوضَةَ الْعَنَاءُ	مَا سَوَى خُلُقِهِ النَّسِيمُ وَلَا عَيْ

(117) عدد الناظم من أخلاقه الكريمة جملة منها: الحلم، كهذه اليهودية التي لم يقتلها قصاصاً، وهذا على إحدى الروايتين وفي الأخرى أنه اقتص منها.

(118) ومن خلقه الكريمة أن من على قبيلة هوازن تفضلاً وكرماً، وهوازن قبيلة حليلة السعدية حين غزاها بعد فتح مكة سنة ثمان فرفع الرق عن السبي.

(119) وكان في السبي أخته من الرضاع فأكرمها كما يأتي:

(120) فأعطى برّاً بها ما جعل الناس يتوهمون أن السبي نساء عرس.

(121) ومن إكرامه لأخته من الرضاع أنه بسط لها رداءه لتجلس عليه فهنئنا لها ذلك الإكرام.

(122) فصارت به أخته من الرضاع سيدة النساء.

(123) لما ذكر ما اختص به من كريم الخلال طلب من العقلاء أن ينتزها في سماع صفاته الذاتية وغيرها حيث لم تمكن مشاهدتها بالعين.

(124) إملاء السمع من محاسنه التي لا توجد عند غيره حين يملئها إنشاد الشعر.

(125) ومما يملك على التنزه في ذاته ومعانيه أنك كلما ابتدأت بوصف له وجدت ذلك الوصف المبتدأ به جمع أنواع الفضل واستوعبها.

(126) ذكر من شمانله في حسن ذاته أن ضحكه كان تبسماً ومشيه بسكينة ووقار، ونومه خفيف، فإنه تنام عينه ولا ينام قلبه.

(127) بعدما أنهى الكلام على محاسن ذاته الشريفة شرع في محاسن أخلاقه فذكر أن النسيم الذي به الحياة هو خلقه الكريم كما أن وجهه هو الروضة الغناء وهي الكثيرة النبات والأزهار.

وَوَقَّارٌ وَعِصْمَةٌ وَحَيَاءٌ (128)
 ر وَلَا تَسْتَخِفُّهُ السَّرَّاءُ (129)
 ء عَلَى قَلْبِهِ وَلَا الْفَحْشَاءُ (130)
 فَاسْتُنْقَلَتْ لِذِكْرِهِ الْعُظْمَاءُ (131)
 وَأَخُو الْحِلْمِ دَابُّهُ الْإِغْضَاءُ (132)
 فَهُوَ بَخْرٌ لَمْ تُعْيِهِ الْأَعْبَاءُ (133)
 سَاكٌ مِنْهَا إِلَيْهِ وَالْإِعْطَاءُ (134)
 أَنَّهُ الشَّمْسُ رَفَعَهُ وَالضِّيَاءُ (135)
 لَّ وَقَدْ أَثْبَتَ الظَّلَالَ الضُّحَاءُ (136)
 مَنْ أَظَلَّتْ مِنْ ظِلِّهِ الدُّفُفَاءُ (137)
 بَتَ بِهِ عَنِ عُقُولِنَا الْأَهْوَاءُ (138)
 أَمْ مَعَ الشَّمْسِ لِلظَّلَامِ بَقَاءُ (139)
 الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ مُقْسِطٌ مِعْطَاءُ (140)

رَحْمَةٌ كَأُلْهُ وَحَزْمٌ وَعَزْمٌ
 لَا تَحُلُّ الْبِأَسَاءُ مِنْهُ عُرَى الصَّبِّ
 كَرُمَتْ نَفْسُهُ فَمَا يَخْطُرُ السُّوْ
 عَظَمَتْ نِعْمَةً الْإِلَهِ عَلَيْهِ
 جَهَلَتْ قَوْمُهُ عَلَيْهِ فَأَغْضَى
 وَسِيعَ الْعَالَمِينَ عِلْمًا وَحِلْمًا
 مُسْتَقِلُّ دُنْيَاكَ أَنْ يُنْسَبَ الْإِمَامُ
 شَمْسٌ فَضْلٌ تَحَقَّقَ الظَّنُّ فِيهِ
 فَإِذَا مَا ضَحَا مَحَى نُورُهُ الظُّ
 فَكَأَنَّ الْعَمَامَةَ اسْتَوْدَعَتْهُ
 خَفِيَتْ عِنْدَهُ الْفَضَائِلُ وَأَنْجَا
 أَمَعَ الصَّبْحُ لِلنُّجُومِ تَجَلُّ
 مُعْجِزُ الْقَوْلِ وَالْفِعَالِ كَرِيمُ

(128) وكله صلى الله عليه وآله وسلم رحمة وحزم وعزم ووقار وعصمة وحياء.

(129) لا تحل الشدة أسباب الصبر ويكفيك من صبره أن المشركين من قريش يوم أحد وقع منهم ما وقع فحين طلب منه الدعاء عليهم قال: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" ولا تخرجه عن ثباته ووقاره السراء.

(130) إنما اتصف بهذه الكمالات لأنه كرمت نفسه وطهرت من كل نقص فلا يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء.

(131) كانت نعمة الله عليه عظيمه، وبسبب ذلك كانت نعمه تعالى على غيره قليلة.

(132) أغضى عن آذاه من قريش وغيرهم رغم شدة إيذائهم له، وهذا الإغضاء دأب حال أخي اللحم فلا ينتقم.

(133) وسع صلى الله عليه وآله وسلم جميع العالمين علماً وحلماً فهو بحر في كمال صفاته لم تعيه الأعباء أي الأثقال.

(134) ومن أوصافه الكريمة أنه محتقر للدنيا إمساكها وإعطائها.

(135) وهو شمس فضل فأضواء الفضل كلها مستمدة منه وقد تحقق أنه الشمس والضياء رفعة.

(136) وهو أقوى ضياء من الشمس فذلك إذا ما ضحا أي مشى عقب طلوع الشمس محاً نوره الظل.

(137) كأن الغمامة لما أظلتها استودعته من أظلتهم الدفء وهم الصحابة وهذا إشارة إلى أن الأمة في ظله.

(138) وقد خفيت أمام فضائله كل الفضائل التي عند غيره وانكشفت بسببه عن عقولنا الأهواء أي الضلالات.

(139) استفهم، هل يوجد مع الصبح للنجوم إشراق، وهل يبقى الظلام مع الصبح؟ فلا كمال مع كماله كذلك لا يبقى الضلال مع هدايته.

(140) قوله معجز وكذا أفعاله وهو كريم في ذاته وأخلاقه وعادله وكثير العطاء.

فَهُوَ الْبَحْرُ وَالْأَنْامُ إِضَاءٌ (141)

لِ النَّبِيِّ اسْتِعَارَهُ الْفَضْلَاءُ (142)

لَا تَقْسُ بِالنَّبِيِّ فِي الْفَضْلِ خَلْقًا

كُلُّ فَضْلٍ فِي الْعَالَمِينَ فَمِنْ فَضْ

من معجزاته

رُ وَمِنْ شَرْطٍ كُلِّ شَرْطٍ جَزَاءٌ (143)

مَا الْعَصَا عِنْدَهُ وَمَا الْإِقَاءُ (144)

سَنَةٌ مِنْ مُحُولِهَا شَهْبَاءُ (145)

مِ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ وَطَفَاءُ (146)

وَحَيْثُ الْعِطَاشُ نُوهَى السَّقَاءُ (147)

وَرِخَاءٌ يُؤْذِي الْأَنْامُ غَلَاءُ (148)

وَصَفِ غَيْثٍ إِقْلَاعُهُ اسْتِسْقَاءُ (149)

بِقُرَاهَا وَأَحْيَيْتُ أَحْيَاءُ (150)

أَشْرَقَتْ مِنْ نُجُومِهَا الظُّلْمَاءُ (151)

رِ رَبَاهَا الْبَيْضَاءُ وَالْحَمْرَاءُ (152)

شُقَّ عَنْ صَدْرِهِ وَشُقَّ لَهُ الْبَدَنُ

وَرَمَى بِالْحَصَى فَأَقْصَدَ جَيْشًا

وَدَعَا لِلْأَنْامِ إِذْ دَهَمَتْهُمْ

فَأَسْتَهَاتَ بِالْغَيْثِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ

تَنَحَّرَى مَوَاضِعَ الرَّغْيِ وَالسَّقْيِ

وَأَتَى النَّاسُ يَشْتَكُونَ أَذَاهَا

فَدَعَا فَنَاجَى الْعَمَامُ فَقُلَّ فِي

ثُمَّ أَثْرَى الثَّرَى فَقَرَّتْ عِيُونَ

فَتَرَى الْأَرْضَ غَبَّهَ كَسَمَاءِ

تُخْجِلُ الدُّرَّ وَالْيَوَاقِيَتَ مِنْ نَوْ

(141) لا تقس أي أحد في الفضل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو البحر والأنام إضاء أي غدران.

(142) وكل فضل في جميع العالمين إنما استعاره الفضلاء منه.

(143) شرع في معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم فذكر منها شق صدره كما تقدم، كما ذكر انشقاق القمر وانشقاقه جزاء شق صدره.

(144) ومن معجزاته أنه رمى كفاً من الحصى فأهلك جيشاً وذلك في غزوة بدر، ولا تقس بهذه المعجزة عصا موسى، ولا إلقاءها على السحرة.

(145-146) ومن المعجزات أنه دعا حين عم الأنام الجذب فاستهلت الأمطار سبعة أيام.

(147) وصف السحابة بأنها تقصد مواضع الرعي والسقي ومواضع العطاش.

(148-149) ولما استمرت السحابة في نزول المطر اشتكى الناس إليه صلى الله عليه وآله وسلم أذى المطر فدعا فانجلى الغمام إذ أصبح الرخاء من كثرة المطر غلاء.

(150-151) ثم بعد ذلك الغيث النافع أثرى الثرى وبسبب هذا فرحت العيون بسبب عمارة القرى، حتى أصبحت الأرض من النباتات والأزهار كالسماء بالنجوم. ولما استمرت السحابة في نزول المطر اشتكى الناس إليه صلى الله عليه وآله وسلم أذى المطر فدعا فانجلى الغمام إذ أصبح الرخاء من كثرة المطر غلاء.

(152) وبسبب كثرة الأزهار والأعشاب أخرجت الدر واليواقيت.

تمني الناظم رؤيته ولقائه صلى الله عليه وآله وسلم

(153)	زَالَ عَنِ كُلِّ مَنْ رَأَهُ الشَّقَاءُ	لِيَتَّعَهُ خَصْمِي بِرُؤْيَاةٍ وَجْهِهِ
(154)	مَاءً إِذَا أَسْهَمَ الْوُجُوهَ اللَّقَاءُ	مُسْفِرٍ يَلْتَقِي الْكَتِيبَةَ بَسًّا
(155)	زَرَّ بِهِ لِلصَّلَاةِ فِيهَا حِرَاءُ	جُعِلَتْ مَسْجِدًا لَهُ الْأَرْضُ قَاهَتْ
(156)	ءِ كَمَا أَظْهَرَ الْهَلَالَ الْبِرَاءُ	مُظْهِرِ شَجَّةِ الْجَبِينِ عَلَى الْبُرِّ
(157)	لِجَمَالِ لَهُ الْجَمَالَ وَقَاءُ	سُتِرَ الْحُسْنُ مِنْهُ بِالْحُسْنِ فَاعْجَبَ
(158)	مَامَ وَالْعُودِ شُقَّ عَنْهُ اللَّحَاءُ	فَهُوَ كَالزَّهْرِ لَاحٍ مِنْ سَجْفِ الْأَكْمِ
(159)	هُ لِسِرِّ فِيهِ حَكَاةُ دُكَاةُ	كَأَدَّ أَنْ يُعْشِيَ الْعُيُونَ سَنَى مِنْهُ
(160)	هَرَفٍ فِيهِ آثَارُهَا الْبِأَسَاءُ	صَانَهُ الْحُسْنُ وَالسَّكِينَةُ أَنْ تُنْظَرُ
(161)	أَلْبَسَتْهَا أَلْوَانَهَا الْحَرَبَاءُ	وَتَخَالَ الْوُجُوهَ إِنْ قَابَلَتْهُ
(162)	أَذْهَلَتْكَ الْأَنْوَارُ وَالْأَنْوَاءُ	فَإِذَا شِئِمْتَ بِشِرِّهِ وَنَدَاهُ
(163)	وَيَا لِهَيْبَةِ اللَّهِ أَخْذَهَا وَالْعَطَاءُ	أَوْ بِتَقْيِيلِ رَاحَةِ كَيْفَانِ اللَّهِ
(164)	بِالْغِنَا مِنْ نَوَالِهَا الْفُقَرَاءُ	تَتَّقِي بِأَسْهَاهَا الْمُلُوكَ وَتَحْظَى
(165)	فِيكَ مِنْ وَكْفِ سُخْبِهَا الْأَنْدَاءُ	لَا تَسْأَلُ سَائِلَ جُودِهَا إِمَّا يَكُ

(153) شرع من هذا البيت في تمني لقائه صلى الله عليه وآله وسلم فتمنى أن يخصه بروية وجهه الكريم الذي يزول على من رآه الشقاء

(154) ذكر بعض صفات الوجه الكريم من أنه مشرق وهو يلتقي الجيش مبتسماً في الوقت الذي تتغير فيه الوجوه بسبب اللقاء.

(155) وجعلت لهذا الوجه الكريم الأرض مسجداً والأمة تبع له واهتز جبل حراء بهذا الجعل، وحراء الجبل الذي كان يتعبد فيه قبل النبوة

(156) وجهه الكريم أظهر شجة جبينه مع برئها فكانت تلك الشجة غاية في الجمال كالهلال أول ليلة.

(157) وستر الحسن الأصلي بوجهه الكريم بالحسن العارض وهو الشجة.

(158) ما ظهر من الشجة كالزهر ظهر من الأكماء وهي أعطية النور أو كالعود الذي يتطيب به إذا أزيل عنه قشره.

(159) وكاد جمال وجهه بالشجة يغشى العيون وذلك لسر فيه حكته ذكاء وهي الشمس.

(160) وصان جمال وجهه في حسنه وسكينته أن تظهر فيه آثارها البأساء.

(161) وتخلج الوجوه إذا قابلته فتتلون كما تتلون الحرباء.

(162) فإذا شمت أي نظرت طلاقة وجهه وجوده أذهلتك أنوار وجهه وأنواء جوده.

(163) لما أنهى تمني روية وجهه الكريم وأوصافه تمنى تقبيل راحته التي كان الله أخذها وعطاؤها.

(164) وكفه هذه تتقي بأسها الملوك وتحظى أي تفوز بالغنى من نوالها الفقراء.

(165) ولا تسأل جود هذه الكف لأنه يكفيك البلل منها لأن فيها الغنى.

- دَرَّتِ الشَّاةُ حِينَ مَرَّتْ عَلَيْهَا
 نَبَعَ الْمَاءُ أَثْمَرَ النَّخْلِ فِي عَا
 أَحْيَتِ الْمُرْمِلِينَ مِنْ مَوْتِ جَهْدِ
 فَتَغَدَّى بِالصَّاعِ أَلْفَ حِيَاغٍ
 وَوَفَى قَدْرُ بَيْضَةٍ مِنْ نُضَارٍ
 كَانَ يُدْعَى قَتَاً فَأَعْتِقَ لَمَّا
 أَفْلَا تَعْذِرُونَ سَلْمَانَ لَمَّا
 وَأَزَالَاتُ بِلْمَسِهَا كُلَّ دَاءٍ
 وَعُيُونٌ مَرَّتْ بِهَا وَهِيَ رُمْدٌ
 وَأَعَادَتْ عَلَى قِتَادَةِ عَيْنَاءٍ
 أَوْ بِلِثْمِ الثُّرَابِ مِنْ قَدَمٍ لَا
 مَوْطِيءٍ الْأَخْمَصِ الَّذِي مِنْهُ لِلْقَلْبِ
- قَلَهَا ثَرْوَةٌ بِهَا وَنَمَاءٌ (166)
 بِهَا سَبَّحَتْ بِهَا الْحَصْبَاءُ (167)
 أَعْوَزَ الْقَوْمَ فِيهِ زَادٌ وَمَاءٌ (168)
 وَتَرَوَى بِالصَّاعِ أَلْفَ ظِمَاءٍ (169)
 دَيْنَ سَلْمَانَ حِينَ حَانَ الْوَقَاءُ (170)
 أُيْنَعَتِ مِنْ نَخِيلِهِ الْأَقْنَاءُ (171)
 أَنْ عَرَّثَهُ مِنْ ذِكْرِهِ الْعُرَوَاءُ (172)
 أَكْبَرَتْهُ أَطِبَّةٌ وَإِسَاءُ (173)
 قَارَتْهَا مَا لَمْ تَرَ الزَّرْقَاءُ (174)
 فَهِيَ حَتَّى مَمَاتِهِ النَّجْلَاءُ (175)
 نَتَّ حِيَاءً مِنْ مَشْيِهَا الصَّفَوَاءُ (176)
 بَ إِذَا مَضَجَعِي أَقْضَى وَطَاءُ (177)

(166) وقد درت هذه الراحة الكريمة الشاة حين حلبها وذلك حين الهجرة.

(167) وظهرت من راحته معجزات منها نبع الماء من بين أصابعه وإثمار النخل في عام واحد وبها سبَّحت الحصباء.

(168) وأحييت هذه الكف المرملين وهم الذين لا زاد لهم في وقت الجذب عندما فقد القوم الزاد والماء.

(169) ومن أوصافها أنها غدَّت بصاع واحد ألف جائع، كما أروت الألف الظمَاء. أشار إلى أن سلمان الفارسي كان عليه دين مكتوبة وهو أربعون أوقية فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدر بيضة من نضار أي الذهب فوفى دينه.

(170) أشار إلى أن سلمان الفارسي كان عليه دين مكتوبة وهو أربعون أوقية فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدر بيضة من نضار أي الذهب فوفى دينه.

(171) وكذلك كاتبه سيده على غرس ثلاثمائة نخلة فغرسها له النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأثمرت من عامها.

(172) والأقناء جمع قنو وهو العنق ألا تعذرون سلمان لما اعترته العُرَوَاءُ أي الحمى حين ذكر اليهودي النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(173) ومن أوصاف راحته صلى الله عليه وآله وسلم أنها أزالت بلمسها كل داء عجزت عنه الأطباء وأكبرته الإساء أي الأطباء.

(174) ومن أوصافها أنها برئت بها عيون كانت رمداء فأصبحت ترى أكثر من الزرقاء أي زرقاء اليمامة التي كانت ترى على مسيرة ثلاثة أيام. وأعدت راحته الكريمة على قتادة عينه حين أصيبت يوم أحد وهي حتى مماته نجلاء أي واسعة النظر.

(175) وأعدت راحته الكريمة على قتادة عينه حين أصيبت يوم أحد وهي حتى مماته نجلاء أي واسعة النظر. أي ليته خصني بلثم التراب المنفصل من قدمه الشريفة التي لانَّت لها الصفواء أي الحجارة الصلدة حياء من مشيها.

(176) المعنى أن الناظم لو رقد على تراب مسته قدامه لسرى سرهما إلى قلبه والأخمص باطن القدم الذي لا يلتصق بالأرض.

(177) ومن أوصاف قدمه الشريفة أنه حظي المسجد الحرام بلمشى تلك القدم فيه، ولم ينس حظه إيلياء أي بيت المقدس.

- حَظِي الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ بِمَمَشَا
وَرَمْتِ إِذْ رَمَى بِهَا ظَلَمَ اللَّيْمِ
هَآ وَلَمْ يَنْسَ حَظُّهُ إِيْلِيَاءُ (178)
لِإِلَى اللَّهِ خَوْفُهُ وَالرَّجَاءُ (179)
مَا أَرَأَيْتَ مِنَ الدَّمِ الشَّهْدَاءُ (180)
رَتَّ عَلَيْهَا فِي طَاعَةِ أَرْحَاءُ (181)
لِجِرَاءٍ مَآجَتٍ بِهِ الدَّمَاءُ (182)

القرآن

- عَجَبًا لِلْكَفَّارِ زَادُوا ضَلَالًا
وَالَّذِي يَسْأَلُونَ مِنْهُ كِتَابًا
بِالَّذِي فِيهِ لِلْعُقُولِ اهْتِدَاءُ (183)
مُنْزَلٌ قَدْ أَتَاهُمْ وَارْتِقَاءُ (184)
فِيهِ لِلنَّاسِ رَحْمَةٌ وَشِفَاءُ (185)
أَعْجَزَ الْإِنْسَ آيَةٌ مِنْهُ وَالْجِ
كُلَّ يَوْمٍ تُهْدِي إِلَى سَامِعِيهِ
مُعْجَزَاتٍ مِنْ لَفْظِهِ الْقِرَاءُ (186)
تَتَحَلَّى بِهِ الْمَسَامِعُ وَالْأَفْ
وَأَهُ فَهُوَ الْخُلِيُّ وَالْحَلَوَاءُ (187)
رَقَّ لَفْظًا وَرَاقَ مَعْنَى فَجَاءَتْ
فِي خُلَاهَا وَحَلِيهَا الْخَنَسَاءُ (188)
وَأَرْتَبْنَا فِيهِ غَوَامِضَ فَضْلِ
رَقَّةٍ مِنْ زُلَالِهَا وَصَفَاءُ (189)
وَأَرْتَبْنَا فِيهِ غَوَامِضَ فَضْلِ
رَقَّةٍ مِنْ زُلَالِهَا وَصَفَاءُ (190)

(178) ومنها: أنها ورمت - بكسر الراء- أي تورمت حين قام بها تهجداً في الليل.

(179) وكذلك دميت قدمه في الوغى لتكسب ما أراق الشهداء من الدم طيباً.

(180) وهي قطب المحراب والحرب معاً، فهي قطب العبادات والجهاد وكم دارت عليها في طاعة الله أرحاء أي قبائل العرب.

(181) اعلم أنه لو لم يسكن بها أي بقدمه من قبل غار حراء لاضطراب الجبل.

(182) عجب من الكفار حين زادوا ضلالاً مع أنهم جاءهم الذي فيه للعقول اهتداء من المعجزات، ومنها القرآن.

(183) سألوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتيهم بكتاب تعنتاً و عناداً فاتاهم به وحياً من الله جل وعلا.

(184) يتعنتون ولم يكفهم القرآن المعجز الذي فيه للناس رحمة وشفاء.

(185) شرع يذكر صفات القرآن الذي أعجزت آية منه الإنس والجن فهلاً يأتي بآية البلغاء.

(186) ولاشتمال القرآن على ما لا يحصى من العلوم والمغيبات وغير ذلك كان في كل وقت تُهدي القراء إلى السامعين معجزات من لفظه

(187) تتحلى بسماعه المسامع والأفواه فهو للمسامع حلي وللأفواه حلواء.

(188) قد حسن لفظه وتصفى من شوائب النقص فحري بأن يشبه بالمرأة الحالية، ولكن القرآن أبلغ من ذلك.

(189) وأوضحت آيات القرآن الرقيقة الحلوة الصافية غوامض وخفايا من العلوم والمعارف المستنبطة منه.

(190) وآيات القرآن لا تظهر إلا للعقول السليمة لأنه لا تُجتلى الوجوه وتظهر إلا في المرأة الصافية.

جَلِيَّتْ عَن مِرَاتِهَا الْأَصْدَاءُ (191)
 نَا وَمِثْلُ النَّظَائِرِ النَّظْرَاءُ (192)
 لَ فَلَ يُوهِمَنَّكَ الْخُطْبَاءُ (193)
 عَن حُرُوفِ أَبَانَ عَنْهَا الْهَجَاءُ (194)
 رَاعَ مِنْهُ سَنَائِلُ وَزَكَّاءُ (195)
 بَ فَقَالُوا سِحْرٌ وَقَالُوا افْتِرَاءُ (196)
 قَالَتِمَّاسُ الْهُدَى بِهِنَّ عَنَاءُ (197)
 مَ فَمَاذَا تَقُولُهُ النَّصَحَاءُ (198)

إِنَّمَا تُجَنَّبُ الْوُجُوهُ إِذَا مَا
 سُورٌ مِنْهُ أَشْبَهَتْ صُوراً مِ
 وَالْأَقْلَوِيْلُ عَنْهُمْ كَالْتِمَائِي
 كَمْ أَبَانَتْ آيَاتُهُ مِنْ عُلُومِ
 فَهِيَ كَالْحَبِّ وَالنَّوَى أَعْجَبَ الزُّ
 فَاطَّلُوا فِيهِ التَّرْدُّدَ وَالرِّيْ
 وَإِذَا الْبَيِّنَاتُ لَمْ تُعْنِ شَيْئاً
 وَإِذَا ضَلَّتِ الْعُقُولُ عَلَى عِ

ما آل إليه أمر أهل الكتابين

بِالَّذِي عَامَلْتُمْ الْحَنَفَاءُ (199)
 بِهِمْ إِنْ دَا لَيْسَ الْبَوَاءُ (200)
 أَوْ لِلْحَقِّ بِالضَّلَالِ اسْتِوَاءُ (201)
 لَيْسَ يُرْعَى لِلْحَقِّ مِنْكُمْ إِخَاءُ (202)

قَوْمَ عِيسَى عَامَلْتُمْ قَوْمَ مُوسَى
 صَدَّقُوا كُذِّبْتُمْ كُذِّبْتُمْ كُذِّبْتُمْ
 لَوْ جَعَلْنَا جُجُودَكُمْ لَأَسْتَوِينَا
 مَالِكُمْ إِخْوَةَ الْكِتَابِ أَنْسَاءُ

(191) تماثل سور القرآن الفضلاء منا.

(192) ما تقوله الكفار في القرآن هو من الأباطيل المزخرفة كزخرفتهم للتماثيل.

(193) كم أوضحت آيات القرآن من علوم لا غاية تنتمي إليها قال تعالى: "ما فرطنا في الكتاب من شيء".

(194) إن حروف القرآن ما يستخرج منها غزير كالحب المبدور.

(195) والكفار رغم صفات القرآن الباهرة استمروا على الإعراض والإنكار فقالوا: سحرٌ وافتراء في كتاب الله.

(196) وإذا البيّنات والحُجج الواضحة لم تفدهم شيئاً فطلب الهدى من البيّنات عناء.

(197) وإذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النُصحاء من الأنبياء والمبلغين.

(198) شرع في الكلام على ما آل إليه أمر أهل الكتابين لما جاءهم الإسلام فقال: يا قوم عيسى عاملتم قوم موسى بالذي عاملتم الحنفاء به وهو تصديقكم بالتوراة، كما أن أهل الإسلام صدقوا كتابكم وهو الإنجيل.

(199) صدق قوم عيسى بالتوراة وكذب اليهود بالإنجيل فبُست المكافأة.

(200) لو جحد المسلمون كتابكم أيها اليهود كما أنكروا كتابنا والإنجيل لاستويننا، ثم بين أنه لا يكون ذلك ولا يتصور لأننا لا نجد الحق

(201) ما لكم يا أهل الكتاب أناساً لا يصدر منكم مراعاة للدين الحق.

(202) ومن عدم رعايتكم للحق أن الأول يحسد الأخير.

لَ كَذَا الْمُحَدِّثُونَ وَالْقَوْمَ (203)
 لَ وَمَظْلُومُ الْإِخْوَةِ الْأَثَقِيَاءِ (204)
 بَ أَخَاهُمْ وَكُلُّهُمْ صُلَحَاءُ (205)
 وَرَمَوْهُ بِالْإِفْكِ وَهُوَ بَرَاءُ (206)
 فَالْتَأَسَّى لِلنَّفْسِ فِيهِ عَزَاءُ (207)
 أَمْ تُرَاكِمُ أَحْسَنُكُمْ إِذْ أَسَاءُوا (208)
 ءَ تَفَقَّتْ آثَارَهَا الْأَبْنَاءُ (209)
 لَ وَهُمْ فِي جُودِهِ شُرَكَاءُ (210)
 لَتَ بِهَا عَنْ عِيُونِهِمْ غَشَوَاءُ (211)
 أَدْنِ عَمَّا تَقُولُ صَمَاءُ (212)
 كَتَمْتَهُ الشَّهَادَةَ الشُّهَدَاءُ (213)
 وَاهُ وَهُوَ الَّذِي بِهِ يُسْتَضَاءُ (214)
 بِرَحَاهَا عَنْ أَمْرِهِ الْهَيْجَاءُ (215)

يَحْسُدُ الْأَوَّلُ الْأَخِيرَ وَمَا زَا
 قَدْ عَلِمْتُمْ بِظُلْمِ قَابِيلَ هَابِي
 وَسَمِعْتُمْ بِكَيْدِ أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ
 حِينَ أَلْقَوْهُ فِي غِيَابَةِ جُوبَ
 فَتَأَسَّوْا بِمَنْ مَضَى إِذْ ظَلِمْتُمْ
 أَتُرَاكِمُ وَقَيْنُكُمْ حِينَ خَانُوا
 بَلْ تَمَادَتْ عَلَى التَّجَاهُلِ آبَا
 بَيْنَهُ تَوْرَانُهُمُ وَالْأَنْجِيلُ
 إِنْ تَقُولُوا مَا بَيْنَهُ قَمَازَا
 أَوْ تَقُولُوا قَدْ بَيَّنَّهُ قَمَالُ
 عَرَفُوهُ وَأَنْكَرُوهُ وَظَلَمَاءُ
 أَوْ نُورَ الْإِلَهِ نُطْفِئُهُ الْأَفْ
 أَوْ لَا يُنْكِرُونَ مَنْ طَحَنَ ثَمُّ

(203) قد علمتم يا أهل الكتاب بظلم قابيل وهو أول أولاد آدم عليه السلام هابيل وهو ثاني أولاد آدم حسداً له.

(204) وخاطب أهل الكتابين بأنهم هل سمعوا بكيد أبناء يعقوب لأخيه يوسف حين ألقوه في غيابة الجب ورموه بالسرقة وهو أخوهم الصغير.

(206) وإذا علمتم ما وقع لمن قبلكم فتعزوا بمن مضى قبلكم.

(207) ثم قال أتظنكم أهل الكتاب أيها المسلمون أنكم وفيتم بما عاهدتم الله عليه فأظهرتم الحق حين كتموه؟، وأتظنكم أحسنتم إذ أسأوا؟ بل لا يرون شيئاً من ذلك واستمروا على التجاهل، وتبعتم الأبناء آثار الآباء الباطلة.

(209) بينت التوراة والأنجيل الحق ومن جملته إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد اشترك اليهود والنصارى في جحود الحق الثابت في كتبهم.

(210) إن يقل أهل الكتاب من اليهود والنصارى إن كتبهم لم تبين الحق فلم تزل العمابة على عيونهم بل هي باقية.

(211) وإن يقولوا قد بينته كتبهم فأى شيء جعل آذانهم صماء.

(212) عرفوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قرارة نفوسهم ولكنهم في الظاهر منكرون وإنما دعاهم إلى ذلك الظلم والحسد والعناد.

(213) ثم قال لا يمكن أن تطفئ الأفواه نور الله وهو النبوة.

(214) وضح لهم بعد ذلك أن الحق يعلو فيها أن سلف هؤلاء المنكرين قد أهلكتهم الحرب كما وقع لبني النضير من الجلاء وقتل بني قريظة، فإن استمر أهل الكتابين على إنكار الحق نالهم ما نال سلفهم.

(215) اشتد الإسلام على اليهود لما اتصفوا به من المكر فطلت دماء بني قريظة، وصينت دماء بني النضير بإجلانهم.

تِ دِمَاءٍ مِنْهُمْ وَصَبَّيْنَتِ دِمَاءٍ (216)
 حَشَوَهَا مِنْ حَبِيْبِهِ الْبَغْضَاءِ (217)
 مِنْ أَتَاكُمْ تَتْلِيَكُمْ وَالْبَدَاءِ (218)
 وَاعْتَقَادًا لَا نَصَّ فِيهِ ادِّعَاءِ (219)
 بَيِّنَاتٍ أَبْنَاؤُهَا ادِّعَاءِ (220)
 حِدٍ نَقْصٍ فِي عَدِّكُمْ أَمْ نَمَاءِ (221)
 حِيدَ عَنْهُ الْآبَاءُ وَالْأَبْنَاءُ (222)
 بِالْإِلَهِ لِذَاتِهِ أَجْزَاءِ (223)
 كِ فَهَلَّا تُمَيِّزُ الْأَنْصِبَاءِ (224)
 خَلَطُوهَا وَمَا بَغَى الْخُلُطَاءِ (225)
 زَالَ إِلَهُ يَمَسُّهُ الْإِعْيَاءِ (226)

وَكَسَاهُمْ ثَوْبَ الصَّغَارِ وَقَدْ طُأ —
 كَيْفَ يَهْدِي الْإِلَهِ مِنْهُمْ قُلُوبًا —
 خَبْرُونَا أَهْلَ الْكِتَابِينَ مِنْ أَي —
 مَا أَتَى بِالْعَقِيدَتَيْنِ كِتَابٌ —
 وَالذَّعَاوِي مَا لَمْ تُقِيمُوا عَلَيْهَا —
 لَيْتَ شِعْرِي ذَكَرُ الثَّلَاثَةِ وَالْوَا —
 كَيْفَ وَحَدَّثْتُمْ الْإِلَهَاءَ نَفَى التَّو —
 أَلِلَّةُ مُرْكَبٌ مَا سَمِعْنَا —
 الْكُلُّ مِنْهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْ —
 أَنْرَاهُمْ لِحَاجَجَةٍ وَأَضْطَرَّارِ —
 أَهْوَى الرَّكَّابِ الْحِمَارَ فَيَا عَجْ —

(216) كيف يهدي الإله قلوباً لأهل الكتابين حشوها شدة البغض لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(217) أعلمونا أهل الكتابين التوراة والإنجيل من أين أتى التثليث - الله وعيسى ومريم- وهو عقيدة النصارى، والبداء وهو ظهور المصلحة لله تعالى بعد خفائها وهو عقيدة اليهود.

(218) بعد أن استنفهم استنفهماً إنكارياً بين أن العقيدتين التثليث والبداء لم يأت بهما كتاب منزل، واعتقاد ما لا نص فيه باطل.

(219) وما تدعون به يا معشر اليهود والنصارى ما لم تقيموا عليه أدلة قطعية فهو ادعاء باطل وأصحابه ادعياء.

(220) بين تناقض النصارى في ادعائهم التثليث والتوحيد فحينئذ يكون التثليث الذي تدعونه زيادة على الواحد، وادعواكم التوحيد نقصاً، وأثبت لهم التناقض لأنهم يثبتون التوحيد تارة والتثليث أخرى.

(221) تعجب في هذا البيت من النصارى كيف يقولون بالتوحيد مع أن نسبة الأبوة والبنوة تنفيه.

(222) استنفهم استنفهماً إنكارياً قائلًا: أيمن أن يكون إله له أجزاء؟ وذلك مما يحيله العقل.

(223) إنما أحال العقل أن يكون الإله ذا أجزاء لأنه يلزم أن يكون لكل أحد من الآلة نصيب من الملك مع أن ذلك لم يقع فلا تعدد.

(224) وإن قيل أن الآلة خلطوا أنصباءهم من الملك، قبل ذلك فهو دليل العجز والإله لا يكون عاجزاً، ثم أنه متى وجدت الشركة وجد التنازع وهو مؤدٍ إلى خراب العالم وهذا أخذ من قوله تعالى: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" (الأنبياء: 22) أي لو كان آلهة في السموات والأرض غير الله لفسدتا لكنهما لم تفسدا فحينئذ انتفى تعدد الآلهة وثبت التوحيد.

(225- 228) أبطل التعدد في هذه الأبيات بأسلوب لطيف تهكمي حيث إن المسيح عليه السلام كان يركب الحمار فاستفهم عن الإله الذي يركب الحمار أهو عيسى فإذا كان هو فهو عاجز، والعجز ليس من صفة الإله، ثم تهكم على أصحاب عقيدة التثليث فاستفهم عن راكبي الحمار أهم الآلهة الثلاثة فما أجل وأعظم هذا الحمار الذي يحمل الآلهة الثلاثة. وذكر في البيت (228) أن أصحاب عقيدة التثليث إذا قالوا أن الإله غير الثلاثة الراكبين على الحمار أجبوا بما نسبة عيسى إلى الإله.

- أَمْ جَمِيعٌ عَلَى الْحِمَارِ لَقَدْ جَاءَ
 أَمْ سِوَاهُمْ هُوَ إِلَهُهُ فَمَا نَسَدُ
 أَمْ أَرَدْتُمْ بِهَا الصِّفَاتِ فَلِمَ خُصَّ
 أَمْ هُوَ ابْنُ اللَّهِ مَا شَارَكَهُ
 قَتَاؤُهُ إِلَيْهِ هُوَ فِيْمَا زَعَمْتُمْ
 إِنْ قَوْلًا أَطَقْتُمْ وَهُوَ عَلَى اللَّهِ
 مِثْلَ مَا قَالَتِ الْيَهُودُ وَكُلُّ
 إِذْ هُمْ اسْتَقْرَأُوا الْبَدَاءَ وَكَمْ سَا
 وَأَرَاهُمْ لَمْ يَجْعَلُوا الْوَاحِدَ الْقَـ
 جَوَزُوا النَّسْخَ مِثْلَ مَا جَوَزُوا الْمَسْـ
- لَّ حِمَارٌ بِجَمْعِهِمْ مَشَاءُ (227)
 بَاءُ عَيْسَى إِلَيْهِ وَالْإِنْتِمَاءُ (228)
 تِ ثَلَاثٌ يَوْصُفُهُ وَتَنَاءُ (229)
 فِي مَعَانِي الْبُنُوَّةِ الْأَنْبِيَاءُ (230)
 وَالْأَمُّ وَأَتَكُمْ بِهِ إِخِيَاءُ (231)
 هِ تَعَالَى ذِكْرًا لَقَوْلٍ هُرَاءُ (232)
 لَزِمْتُهُ مَقَالَةً شَنْعَاءُ (233)
 قَ وَبِالْأَلِ إِلَيْهِمْ اسْتَقْرَأُ (234)
 هَارَ فِي الْخَلْقِ فَاعِلًا مَا يَشَاءُ (235)
 سَخَ عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ فُقِهَاءُ (236)

(228-232) ناقش في هذه الأبيات الأربعة عقيدة التثليث عند النصارى مبطلاً لها بدليلين: الأول: إن أرادوا بالثلاثة الصفات الإلهية أبطل هذا الاحتمال بأن الصفات أكثر من ذلك فلم هذه الثلاث دون غيرها؟ لأنه تحكم، الاحتمال الثاني: إن قالوا إن عيسى ابن الله وهو نبي كسائر الأنبياء فهذا كان عليكم أن تصفوا كل الأنبياء بالبُنُوَّةِ لله - تعالى عن ذلك-. ثم أبطل ألوهية المسيح بأن النصارى يدعون أن اليهود قتلوه والحال أنه يحيي الموتى فهلا أحيا نفسه وهذا على حسب زعمهم من عقيدة الصلب وإلا في الحقيقة أن الله رفعه إليه حياً وختاماً بما اتضح يكون قولهم بالتثليث قولاً هراءً أي قولاً فاحشاً.

(232-243) انتقل في هذه الأبيات إلى الرد على اليهود في قولهم يلزم على نسخ ملة بملة البداء وهو (ظهور مصلحة بعد خفاء) مبيناً أن كلاً من مقالة النصارى ومقالة اليهود لزمته مقالة شنعاء، فاليهود الزاعمون أن النسخ يوجب البداء يرد ما أفاده العقل الرجيح وهو أن الأسباب الداعية للنسخ ترجع إلى مصالح العباد، كالطبيب يأمر بدواء في يوم، وبآخر في يوم آخر، هذه مقدمة نضيفها لما رد به البوصيري تبين حكمة النسخ، ثم شرع البوصيري في الرد عليهم بالزامهم أنهم إذا أنكروا النسخ يلزم على إنكارهم عجز الواحد القهار، ثم ألزم المنكرين للنسخ بأنهم لو كانوا عقلاء لحكموا بجواز النسخ مثل حكمهم بتجويز المسخ إذ لا فرق بينهما، ثم وضح هذا الرد بأن النسخ رفع تعلق حكم بحكم آخر والمسخ تبديل صورة مخلوقة بصورة أخرى وإنما التبديل في النسخ في الحكم، وفي المسخ في الخلق، ثم انتقل في الرد عليهم إلى أن النسخ هو انتهاء حكم وهو المنسوخ وابتداء لآخر وهو الناسخ، وبالغ في هذا فأمر بسؤال اليهود عن المسخ أهو نسخ آيات الله أم إنشاء، فإن اعترفوا بأنه نسخ فقد ثبتت الحجة عليهم، وإن قالوا أنه إنشاء فذلك مكابرة. ثم أمر بسؤال اليهود بمبالغة في الرد عليهم عن قولهم (ندم الله على خلق آدم) أهو عن قصد منهم أو خطأ. فإن كان عن قصد فقولهم هذا البداء الذي من أجله أنكروا النسخ للملة اليهودية، وإن قالوا إن قولهم هذا هو خطأ منهم اعترفوا بالغباوة وأمر بسؤالهم عن أمر ثالث وهو محو آية الليل بالنهار أهو سهو عن قصد أم عن سهو، في كلتا الحالتين إلزام لهم بالقول بالنسخ، كما أمر بسؤال رابع ملزم لهم بالقول بالنسخ وهو أن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بذبح إسحاق ثم لما أضجعه نسخ حكم الذبح بتركه وفداه بذبح عظيم وإنما اقتصر الناظم على أن الذبيح هو إسحاق لأنه في مقام الرد على اليهود، وهذا هو معتقدهم، ومذهب أهل السنة أن الذبيح هو إسماعيل، ثم أمر بسؤال اليهود عن أمر خامس ملزم لهم بالإقرار بالنسخ هو أن نكاح الأخت كان حلالاً في زمن آدم ثم نسخ الله حكمه بالتحريم.

كَمْ وَخَلَقَ فِيهِ وَأَمْرٌ سَوَاءٌ (237)	هُوَ إِلَّا أَنْ يُرْفَعَ الْحُكْمُ بِالْحُكْمِ
وَلِحُكْمٍ مِنَ الزَّمَانِ ابْتِدَاءٌ (238)	وَلِحُكْمٍ مِنَ الزَّمَانِ ابْتِهَاءٌ
سَخَّ لَأَيَّاتِ اللَّهِ أَمْ إِنْ شَاءَ (239)	فَسَلُّوهُمْ أَكْثَانَ فِي مَسْخِهِمْ نَسْأَ
عَلَى خَلْقِ آدَمَ أَمْ خَطَاءٌ (240)	وَبَدَاءٌ فِي قَوْلِهِمْ نَدِمَ اللّٰهَ
بَعْدَ سَهْوِهِ لِيُوجَدَ الْإِمْسَاءُ (241)	أَمْ مَحَا اللَّهُ آيَةَ اللَّيْلِ دُكْرًا
قَ وَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ فِيهِ مَضَاءٌ (242)	أَمْ بَدَا لِلإِلَهِ فِي ذَبْحِ إِسْحَا
تِ بَعْدَ التَّحْلِيلِ فَهُوَ الزَّئَاءُ (243)	أَوْ مَا حَرَّمَ الإِلَهِ نِكَاحَ الأَخْ

اتصاف اليهود بأوصاف ذميمة وما نالهم من جراء خداعهم

عُورُوا عَنِ الْحَقِّ مَعْشَرَ لَوْمَاءُ (244)	لَا تُكْذِبْ أَنْ إِلَهُهُ وُودَ وَقَدْ زَا
عُوتِ قَوْمٌ هُمْ عِنْدَهُمْ شُرَفَاءُ (245)	جَحَدُوا الْمُصْطَفَى وَأَمَّنَ بِالطَّا
لَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمْ السُّفَهَاءُ (246)	قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَاتَّخَذُوا الْعِجْ
وَوَى وَأَرْضَاهُ الْفُومُ وَالْقِئَاءُ (247)	وَسَافِيَةً مَنْ سَاءَ الْهَمْنُ وَالسَّلْ

(244-257) لا سبيل إلى التكذيب بأن اليهود زانغون عن الحق وهم معشر لوماء كما أنهم من زيغهم جحدوا نبوة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأقروا من آمن بالباطل على باطلهم حين سألتهم قريش المشركون أنحن خير ديناً من محمد؟ قالوا: نعم. ومن زيغهم وسفههم قتلهم الأنبياء كزكرياء ويحيى واتخاذهم العجل إلهاً، وقد صاغه لهم السامري من حلي القبط المستعارة. ومن خبتهم أنهم أحزنهم ما منحهم الله من المن، وهو نوع من الحلواء كان ينزل عليهم، والسلوى: وهو الطير السمانى كان من أشهى الطيور لحماً، وسألوا الفوم وهو الثوم والقثاء وهو الخيار. ومن مخازيهم أن الحرام وأكل السحت والربا ملئت به بطونهم، ولو أراد الله بهم خيراً لجعل السبت الذي هو بمعنى القطع محله الأربعاء الذي خلق النور فيه، ومع ذلك أن يوم السبت يوم مبارك لأن الله ابتداءً فيه خلق هذا العالم. وذكر أن اليهود اعتدوا بالتصرف فيه بالبيع ونحوه فمسخ الكثير منهم قرده وخنازير. وبسبب ظلم اليهود بأخذ الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل، وكفرهم فأتتهم طيبات من الرزق حرّمها الله عليهم، وفي ترك الطيبات هلاك لهم، ثم ذكر ما نالهم من أجل انخداعهم وخداعهم، وخلاصة ما ذكره أن المنافقين من الأوس والخزرج خدعوا اليهود فكانوا يدسون إليهم المكر والخديعة فتعنّت أحبارهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرد شبه هؤلاء الأحبار القرآن الكريم وترتب على ذلك إجلاء بني النضير من الحجاز إلى الشام وهو ما عبر عنه الناظم بقوله: أسلموهم لأول الحشر...، والحشر الثاني في عهد عمر رضي الله عنه من خيبر وأشار إلى تحالف اليهود مع الأحزاب وهم طوائف العرب المتجمعة من أهل مكة ومن معهم الذين تجمعوا لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقصدوا المدينة فكانت غزوة الأحزاب، وحين اشتداد البأس نقض بنو قريظة عهدهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولما رجع المتحزبون من الكفار ورُفِعَ الحصار عن المدينة غزا المسلمون بني قريظة وحاصروهم إلى أن نزلوا على حكم سيدنا سعد بن معاذ بأن تقتل رجالهم وتقسم أموالهم وتسبى ذراريهم.

فَهِيَ نَارٌ طَبَاقَهَا الْأَمْعَاءُ (248)
 كَانَ سَبْتًا لَدَيْهِمُ الْأَرْبَعَاءُ (249)
 رِيْفٍ فِيهِ مِنَ الْيَهُودِ اعْتِدَاءُ (250)
 طَيِّبَاتٌ فِي تَرْكِهِنَّ ابْتِلَاءُ (251)
 فَقُ إِلَّا عَلَى السَّفِيهِ الشَّقَاءُ (252)
 نَهُمُ إِنَّنَا لَكُمْ أَوْلِيَاءُ (253)
 رَلِمَ إِذَا تَخَالَفَ الْحُقُوءُ (254)
 عَادُهُمْ صَادِقٌ وَلَا الْإِيْلَاءُ (255)
 وَبُيُوتًا مِنْهُمْ نَعَاهَا الْجَلَاءُ (256)
 صَارَ فِيهِ وَضَاعَاتُ الْآرَاءُ (257)

مَلَأْتِ بِالْخَبِيثَاتِ مِنْهُمْ بَطُونٌ
 لَوْ أَرِيدُوا فِي حَالِ سَبْتٍ بَخِيرٌ
 هُوَ يَوْمٌ مُبَارَكٌ قِيلَ لِلَّهِ صَدٌّ
 فَيُظْلَمُ مِنْهُمْ وَكُفِّرَ عَدَّتُهُمْ
 خُدَعُوا بِالْمُنَافِقِينَ وَهَلْ يُنْـ
 وَاطْمَأَنُّوا بِقَوْلِ الْأَحْزَابِ إِخْوًا
 حَالَفُوهُمْ وَخَالَفُوهُمْ وَلَمْ أَدْ
 أَسْلَمُوهُمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ لَا مِيـ
 سَكَنَ الرُّغْبُ وَالْخَرَابُ قُلُوبًا
 وَيَوْمَ الْأَحْزَابِ إِذْ زَاغَتِ الْأَبْـ

مجازاة المؤذنين بالهلاك

كَانَ فِيهَا عَلَيْهِمُ الْعَذْوَاءُ (258)
 فَأَيُّدَ الْأَمَّارِ وَالنَّهَّاءُ (259)
 لَ وَنُطْقُ الْأَرَاذِلِ الْعَوْرَاءُ (260)
 ءُ سِفَاهًا وَالْمَلَأَةُ الْعَوْجَاءُ (261)
 مَ وَمَا سَاقَ لِلْبِذِيِّ الْبِذَاءُ (262)

وَتَعَدَّوْا إِلَى النَّبِيِّ حُدُودًا
 وَنَهَّئْتُهُمْ وَمَا انْتَهَتْ عَنْهُ قَوْمٌ
 وَتَعَاطَوْا فِي أَحْمَدٍ مُنْكَرَ الْقَوِ
 كُلُّ رَجَسٍ يَزِيدُهُ الْخُلُقُ السُّو
 فَاَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْقَوِ

(257) تعدى الكفار الحدود من اليهود وغيرهم بإذابتهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فحوزوا بالهلاك وبعدهم عن النجاة.

(258) أي نهى أولئك المعتدين أقوام منهم ليكفوهم عن الإذابة فلم ينتهوا فهلك المار بالإذابة والنهاء عن إتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(259) وتناول الكفار القول المنكر في النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: ساحر، وكاهن، ومجنون، ونطق الأراذل أي الأخساء الأسافل الفحش.

(260) أفاد أن كل قذارة يزيد بها الخلق سوء سفاهة، وكذلك الملة العوجاء التي هم عليها تزيدهم أيضاً سفاهة، فتضاعفت سفاهتهم.

(261-263) أمر العقلاء بأن ينظروا ما هي عاقبة الإذابة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث انقلب السب سماً بإبدال الباء ميماً فأهلكهم السب كما يهلك السم.

وَجَدَ السَّبَبَ فِيهِ سَمًّا وَلَمْ يَدُ
رَ إِذِ الْمَيْمِ فِي مَوَاضِعَ بَاءٍ (263)
كَانَ مِنْ فِيهِ قَتْلُهُ بِيَدَيْهِ
فَهُوَ فِي سُوءِ فِعْلِهِ الزَّبَاءُ (264)
أَوْ هُوَ النَّخْلُ قَرِصُهَا يَجْلِبُ الْحَثَّ
فَإِلَيْهَا وَمَالُهُ إِنْكَاءُ (265)

عاقبة قومه المناوين له

صَارَعَتْ قَوْمَهُ حَبَائِلُ بَغْيِي
مَدَّهَا الْمَكْرُ مِنْهُمْ وَالِدَّهَاءُ (266)
فَأَتَتْهُمْ خَيْلٌ إِلَى الْحَرْبِ تَخُ
تَالُ وَاللَّخَيْلُ فِي الْوَعَى خِيَلَاءُ (267)
قَصَدَتْ فِيهِمُ الْقَنَا فَقَوَافِي
الطَّعْنَ مِنْهَا مَا شَانَهَا الْإِيطَاءُ (268)
وَأَثَارَتْ بِأَرْضِ مَكَّةَ نَقَعًا
ظَنَّ أَنَّ الْعُدُوَّ مِنْهَا عِشَاءُ (269)
أَحْجَمَتْ عِنْدَهَا الْحَجُونَ وَأَكْدَى
عِنْدَ إِعْطَائِهِ الْقَلِيلَ كُدَاءُ (270)
وَدَهَتْ أَوْجُهًا بِهَا وَبِيوتًا
مُلَّ مِنْهَا الْإِكْفَاءُ وَالْإِقْوَاءُ (271)

عفوه وجمال أفعاله

فَدَعَوْا أَحْلَمَ الْبَرِيَّةِ وَالْعَفْوِ
وَجَوَابُ الْحَلِيمِ وَالْإِغْضَاءُ (272)

(263- 265) وتسبب الإيذاء أن البذي تسببت له بذاءة فمه في قتل نفسه بيديه فهو شبيهه بالملكة الزباء التي أدركها عمرو فمصت خاتماً فيه السم فقتلت نفسها بيدها وأتى بتشبيهه آخر لعاقبة البذي اللسان فشبهه بالنحل التي لسعها يجلب لها حتفها أي موتها والحال أن لسعها ليست له نكاية.

(265) صرع قومه الذين لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم مكرهم ولم يُجِدْهم مكرهم ولا دهاءهم الخبيث.

(266) فبسبب مكرهم أتتهم من قبله صلى الله عليه وآله وسلم خيل يَبْحَثُرُ بها شجعان المسلمين فعاد مكرهم وبالأعلى عليهم.

(267) المعنى قري طعن القنا - وهي الرماح- في أبدانهم تكررأ وإعادةً.

(268) أثار خيل المسلمين التي قصدت مكة نقعاً أي غباراً حتى أظلم الجو وهذا إشارة إلى غزوة فتح مكة ووقعت في رمضان سنة 8

(269) أشار في هذا البيت إلى دخول جيش الفتح مكة حيث كان من جهتين الأولى جهة الحجون - وهو الجبل المطل على مقبرة مكة وهي المعلاة- ومنها دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه المهاجرون والأنصار، والجهة الثانية من كذا - بضم الكاف- من أسفل مكة، حيث أمر خالد بن الوليد أن يدخل من هناك، ومعنى أحجمت الحجون: أن أهلها كفوا عن القتال، وأما كذا فإن أهلها قاتلوا قليلاً وإلى ذلك أشار قوله: " وأكدى: عند إعطائه القليل كداء" ومعنى: أكدى: قطع.

(270) أي أصابت خيل الفتح أوجهاً من الناس قاتلت، وبيوتاً فرأ أهلها منها.

(271- 274) لما دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة دعتة قريش وهو احلم البرية وجواب الحليم الإغضاء وهو الإعراض عن العقوبة، وناشدوه بالقربى أي أن يصل القرابة التي بينه وبينهم وهي من قريش وهم ولد النضر بن كنانة أحد أجداده صلى الله عليه وآله وسلم، وتلك القرابة التي قطعها الترات - أي عدم إدراك الثأر- والشحناء: أي التباغض والتحاسد، وبسبب تلك المناشدة والسؤال بالقرابة عفا عنهم عفو قادر، ولم يُكَدَّرْ عفوه ما مضى منهم من مبالغة في الإيذاء.

قَطَعَتْهَا الثَّرَاتُ وَالشَّحْنَاءُ (273)
 عَنْهُمْ بِمَا مَضَى إِغْرَاءُ (274)
 تَسَاوَى التَّقْرِيبُ وَالْإِقْصَاءُ (275)
 مِنْ سِوَاهُ الْمَلَامُ وَالْإِطْرَاءُ (276)
 لَسَ لِدَامَتِ قَطِيعَةَ وَجَقَاءُ (277)
 اللَّهُ مِنْهُ تَبَايُنٌ وَوَقَاءُ (278)
 ضَحُّ إِلَّا بِمَا حَوَاهُ الْإِنْيَاءُ (279)
 يَا لِرَاحِ مَا لَتَ بِهِ التُّدْمَاءُ (280)
 نَدَّ عَنْهُ الرُّوَاهُ وَالْحُكْمَاءُ (281)

نَاشَدُوهُ الْقُرْبَى الَّتِي مِنْ قُرَيْشٍ
 فَعَقَا عَفْوَ قَادِرٍ لَمْ يُنْعَمْ
 وَإِذَا كَانَ الْقَطْعُ وَالْوَصْلُ لِلَّهِ
 وَسِوَاهُ عَلَيْهِ فِيمَا أَتَاهُ
 وَلَوْ أَنَّ انْتِقَامَهُ لِهَوَى النَّفْسِ
 قَامَ لِلَّهِ فِي الْأُمُورِ فَأَرْضَى
 فَعَلَّهُ كُلُّهُ جَمِيلٌ وَهَلْ يَنْ
 أَطْرَبَ السَّمْعِينَ ذِكْرُ عُلاهِ
 النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ أَعْلَمُ مِنْ أَسْنِ

(274-276) أفاد أنه إذا كان القطع والوصل لله أن يتساوى عنده تقريب الأقارب والأبعد وإقصاء الأقراب والأبعد ويتساوى عنده اللوم والمدح.

(277-281) أبانت جملة هذه الأبيات ما اتصف به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أن أفعاله ليست معللة بهوى النفس وإنما هي كلها لله تعالى ولذلك لما ناشدته قريش القريبى عفا عنها، ولو كانت أفعاله لهوى النفس لانتقم منهم أشد انتقام ولقطعهم وجفاهم ولهذا كانت أفعاله كلها جميلة ولسمو نفسه الكريمة لا يصدر عنه إلا ما يرضي كما أن الإناء المليء طيباً لا ينضح أي لا يرشح إلا بما هو طيب، ولجمال أفعاله كانت إذا سمع بها السامعون طربوا لها فضلاً عن الذين نالته ثم أشار إلى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع كونه أمياً - والأمي نسبة إلى الأم وهو من لا يكتب ولا يقرأ- أتى بما أعجز البشر كلهم وملك عليهم عقولهم، فهو اعرف العارفين وأحكم الحكماء النابغين، ولذلك أخذ عنه ما جاء به الرواة والحكماء.

(281-296) أفاد في الأبيات الرحلة إلى مكة فأفاد أولاً المنازل التي يمر بها الركب من مصر إلى مكة. وأفاد في البيت الأول أن الوجناء وهي الناقة القوية وعدته زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنة التي تمت فيها الزيارة ووقت بوعدها، ثم استفهم قائلاً: أيليق بي ترك الزيارة؟ فلا انضم إلى الناقة بركوبها لتطوى الفلوات بينه وبين المثوى الكريم - أي قبره صلى الله عليه وآله وسلم وهذا الطي بألوف البطحاء- أي بهذه الناقة التي ألقت بطحاء مكة، وإيلاف هذه الناقة مكة صارت يزعجها النيل، والحال أنها قد شفت جوفها الإظماء وهو العطش، وهي من حبها لمكة أنكرت مصر ونفرت مما يلوح لعينيها من بناء أو فضاء، ثم شرع في ذكر المنازل مستهلاً بأن البركة أفضت مضاجعها وهذا ما اختاره الشيخ الإمام النبھاني أي خسنت مضاجعها والذي عليه كل الشراح: فأفضت بركتها أي سالت (1) والبركة أول محل يلي طريق الحجاز تجتمع فيه الحجاج للتأهب للسفر.

(2) والبويب - بالتصغير - موضع بعد البركة.

(3) الخضراء: قرية بالمحل المسمى بعجروود وبجانب القرية بركة ماء تملأ من بئر.

(4) القباب التي تلي المنازل السابقة أي وادي القباب.

(5) بئر النخل موضع فيه بركة ماء تملأ من بئر وماؤها أحسن من الذي قبلها، ولهذا قال: "والركب قائلون رواء" وقائلون: أي مستريحون وقت القيلولة.

- (6) = ومن المنازل: أيلة أي عقبة أيلة وهي عقبة صعبة الهبوط والصعود وبندرها حصن حصين في قرية على شاطئ البحر، وقد ذكر المفسرون: أن القرية التي كانت حاضرة البحر هي: أيلة.
- (7) حَقْل: بكسر الحاء وسكون القاف محل قريب من العقبة تسميه العامة: دَوَّار حَقْن.
- (8) فُرٌّ: بضم القاف والراء المشددة - قال ابن حجر الهيثمي شارح الهمزية: ليس هذا الاسم مشهوراً عند الناس اليوم، وابن حجر من رجال القرن العاشر توفي سنة (974هـ) وأراد البوصيري بقوله: "خلفها" أي الناقة.
- (9) المغارة الفيحاء، أي الواسعة كأنه أراد بها المَحَل المعروف الآن أي في زمن الشيخ سليمان الجمل شارح الهمزية (1204هـ) بمغاير شعيب نسبة لشعيب النبي عليه الصلاة والسلام.
- (10) عيون الأقباب: سمي هذا المنزل بذلك لكثرة ما فيه من القصب.
- (11) النَّبْكَ: بفتح النون وسكون الموحدة، وهذا المنزل قال ابن حجر الهيثمي ليس بمشهور، وقال سليمان الجمل: ولعله أراد به المكان المسمى بنبط.
- (12) الكفافة: وصفها الناظم بالعوجاء أي أنها منحرفة عن جادة الطريق وقال الجمل: تعرف في عصره بسلمى وكفافة.
- (13) الحوراء: حفاثر على ساحل البحر، ونسب الناظم إلى الحوراء محادثة الناقة، وكذلك ينبوع الآتي ونسب لهما الرقة أي الاشتياق.
- (14) ينبوع: قال الجمل: هو الآن - أي في عصره - يعرف بينبوع كينصر. وينبع هو أول بلاد الحجاز في الذهاب وآخرها في الإياب.
- (15) الدهنوان: هو الآن محل واحد يسمى بالدهناء، وهي موضع أمام ينبوع.
- (16) بدر: وقال الناظم: (لاح بالدهنوين بدر لها) أي ظهر فيها بدر، وهي قرية عامرة كبيرة، ومحل الواقعة المشهورة بهذا المكان التي أعز الله بها الإسلام.
- (17) وحنين جبل صغير قريب من بدر، وحنين هذه غير حنين التي بين مكة والطائف المذكورة في الآية.
- (18) الصفراء: قرية معروفة.
- (19) بزوة: مكان يسمى بقاع البيزوي عند الحاج.
- (20) رابغ: هو واد بين الحرمين الشريفين مكة والمدينة قرب البحر.
- (21) الجحفة: محل بعد رابغ، وقول الناظم (وَنَصَتْ بَرَوَةٌ - البيت) أي أن هذه الأماكن: بزوة ورابغ والجحفة خلعت عن الناقة الإعياء لفرحها بقرب الوصول.
- (22) بئر علي: قال الجمل: هو المشهور الآن ببئر التفلة.
- (23) عقاب السويق: قال ابن حجر قريب من المكان المتقدم.
- (24) الخلاء: قال ابن حجر: اشتهر في عصره بخليص وفيه عين ماء واسعة وبركة، والأماكن الثلاثة الأخيرة أرت الناقة الخلاص لأنها قريبة من مكة.
- (25) بئر عسبان: بضم العين كعثمان على مرحلتين من مكة.
- (26) بطن مرٍّ: ويسمى: مرّ الظهران قريب من مكة.
- (27) الزاهر: مكان مشهور قبيل ذي طوى في داخل الحرم.
- (28) المساجد: المحل المعروف بمساجد عائشة. ختم ذكره للمنازل التي بين مصر ومكة بقوله:
- هذه عدة المنازل لاما عُدَّ فيه السماك والعواء
- أي هذه المنازل بين مصر ومكة هي المنازل التي عليها المعول لا منازل القمر، وكل من هذه المنازل ثمانية وعشرون، ومن منازل القمر: السماك الأعزل، والعواء.

الحج والزيارة

- وَعَدْتَنِي ازْدِيَارَهُ الْعَامَ وَجَنَّا
أَفْلًا أَنْطَوِي لَهَا فِي اقْتِضَائِ
بِأَلُوفِ الْبَطْحَاءِ يُجْفَلُهَا النَّيْبُ
أَنْكَرْتَ مِصْرَ فَهِيَ تَنْفِرُ مَا لَا
فَأَقْضَتْ عَلَيَّ مُبَارَكَهَا بِرُ
فَالْقَبَابُ التِّي تَلِيهَا فَبُنُرُ
وَعَدْتْ أَيْلَةَ وَحِقْلُ وَقُرُ
فَعِيُونَ الْأَقْصَابِ يَتْبَعُهَا النَّبُ
حَاوَرْتَهَا الْحَوْرَاءُ شَوْقًا فَيُنْبُو
لَا حَ بِالذَّهْنَوَيْنِ بَدْرٌ لَهَا بَعُ
وَنَضَتْ بَزْوَةً فَرَابِعُ فَالْجُحُ
وَأَرْتَهَا الْخَالِصَ بِرُ عَلِيٍّ
فَهِيَ مِنْ مَاءِ بِرٍ عُسْقَانَ أَوْ مِنْ
قَرَّبَ الزَّاهِرُ الْمَسَاجِدَ مِنْهَا
هَذِهِ عِدَّةُ الْمَنَازِلِ لَا مَا
- ءُ وَمَمَّتْ بُوَعْدَهَا الْوَجْنََاءُ (282)
لَهُ لِنُطْوَى مَا بَيْنَنَا الْأَفْلَاءُ (283)
لُ وَقَدْ شَفَّ جَوْفَهَا الْإِضْمَاءُ (284)
حَ بِنَاءٍ لِعَيْنَيْهَا أَوْ خَلَاءُ (285)
كُنْهَهَا فَالْبُؤْيُوبُ فَالْخَضْرَاءُ (286)
النَّخْلُ وَالرَّكَّابُ قَائِلُونَ رِوَاءُ (287)
خَلْفَهَا فَالْمَعَارَةُ الْفَيْحَاءُ (288)
أَكُ وَتَنَّا وَكَفَافَةُ الْعَوْجَاءُ (289)
عُ فَرَقَّ الْيُبُوعُ وَالْحَوْرَاءُ (290)
دَ حُنَيْنٍ وَحَدَّتِ الصَّفْرَاءُ (291)
فَهُ عَنْهَا مَا حَاكُهُ الْإِنْضَاءُ (292)
فَعُقَابُ السُّوَيْقِ فَالْخُلُصَاءُ (293)
بَطْنِ مَرِّ ظَمَانَةَ خَمَّصَاءُ (294)
بِخَطَاهَا فَالْبُطْءُ مِنْهَا وَحَاءُ (295)
عُدَّ فِيهِ السَّمَاكُ وَالْعَوَّاءُ (296)

(297-302) شبه في البيت الأول ناقته التي ركبها في مكة وانتقلت به إلى عرفة إلى مزدلفة إلى منى بالشمس لرفعة مقصدها، وشبه البيداء التي تسير فيها بالسماء.

وأرحل في هذا البيت يصح بناؤه للفاعل كما يصح بناؤه للنائب، ولما ذكر مكة في البيت الأول، ذكر في البيت الثاني أن مكة موضع للبيت أي الكعبة، ومهبط الوحي ومأوى الرسل فهناك الأنوار وهناك البهاء، ثم ذكر أفعال الحج من الطواف والسعي والخطب ورمي الجمار، والإهداء: وهو سوق الهدى إلى مكة وذبحه بها. ثم قال: (حبذا حبذا معاهد البيت) أي هذه المعاهد حبيبة إليّ ولم يغيرها البلاء أي القدم، وذكر أيضاً من الأشياء التي شرف الله بها مكة أنها حرم آمن، وهي محترمة بحرمته الله من يوم خلق السموات والأرض كما في الحديث الصحيح وقد ضبطت كتب المناسك حدود الحرم وأن بها البيت الحرام الكعبة، وأن بها المقام بفتح الميم وهو الحجر الذي أنزل لإبراهيم عليه السلام لبناء الكعبة وفيه أثر قدميه ثم ذكر أن المقام بضم الميم في الحرم تلاء أي ذمة وجوار. وذكر أنه أدى المناسك بها، =

التنقل بين مكة وبقية المشاعر

- فَكَأَنِّي بِهَا أَرَحُّ لِمَنْ مَ — كَغَةَ شَمْسًا سَمَاؤُهَا الْبَيْدَاءُ (297)
- مَوْضِعُ الْبَيْتِ مَهْ بَطُ الْوَحْيِ مَأْوَى الرُّسُلِ حَيْثُ الْأَنْوَارُ حَيْثُ الْبَهَاءُ (298)
- حَيْثُ فَرَضُ الطَّوَافِ وَالسَّعْيِ وَالْحَلْقُ وَرَمَيْ الْجَمَارِ وَالْإِهْدَاءُ (299)
- حَبَّذَا حَبَّذَا مَعَاهِدُ مِنْهَا لَمْ يُغَيِّرْ آيَاتِهِنَّ الْبَلَاءُ (300)
- حَرَمٌ أَمِينٌ وَبَيْتٌ حَرَامٌ وَمَقَامٌ فِيهِ الْمَقَامُ تَلَاءُ (301)
- فَقَضَيْنَا بِهَا مَنَاسِكَ لَا يُحْ — مَدُّ الْإِلَافِي فَعَلِهِنَّ الْقَضَاءُ (302)

السير للزيارة المشرفة

- وَرَمَيْنَا بِهَا الْفَجَاجَ إِلَى طَيْبِ — بَةِ وَالسَّيْرُ بِالْمَطَايَا رَمَاءُ (303)
- فَأَصَابْنَا عَنْ قَوْسِهَا غَرَضَ الْقُرْ — بٍ وَنَعْمَ الْخَبِيئَةُ الْكَوْمَاءُ (304)
- فَرَأَيْنَا أَرْضَ الْحَبِيبِ يَغُضُّ — الطَّرْفَ مِنْهَا الضِّيَاءُ وَاللَّأَلَاءُ (305)
- فَكَأَنَّ الْبَيْدَاءَ مِنْ حَيْثُ مَا قَا — بَلَّتِ الْعَيْنُ رَوْضَةَ غَنَاءُ (306)
- وَكَأَنَّ الْبِقَاعَ زَرَّتْ عَلَيْهَا — طَرْفِيهَا مُلَاءَةٌ حَمْرَاءُ (307)
- وَكَأَنَّ الْأَرْجَاءَ تَنْشُرُ نَشْرَ ال — مِسْكَ فِيهَا الْجَنُوبُ وَالْجَرِيَاءُ (308)

= والمناسك جمع منسك من النسك وهي العبادة أي متعبادات الحج والعمرة وهذه المناسك هي التي لا يحمد القضاء أي الداء إلا في فعلها.

(303-312) انتقل إلى وصف رحلته إلى طيبة وهي المدينة المنورة، فذكر أنه رمى بناقته التي ألقت البطحاء الفجاج وهي جمع فج وهو الطريق الواسعة يقصد طيبة والسير بالمطايا يشبه سير السهم إذا رمى به. وأنه أصاب غرضه من القرب من المدينة المشرفة بسبب ركوبه تلك الناقة، ورأى أرض الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم يغض الطرف أي يخفضه نورها المشرق. وشبه البيداء بين مكة والمدينة بالروضة الغناء حيثما قابلت العين، كما شبه الأماكن التي حول المدينة المنورة لما تغشاها الأنوار المشعة من قبره عليه الصلاة والسلام بخيمة حمراء شددت على ما فيها أزرارها. وأفاد أنه كما لاحت فيها الأنوار فاح طيبها فكان ريح الجنوب والشمال ينشران المسك في أرجائها. فإذا ما نظرت رباها أو شممتها لاح منها البرق النوراني وفاح كباء -بكسر الكاف- أي ريح البخور. وحين وصل إلى قباء -بضم القاف- شاهد الزائر نوراً باهراً وأزهاراً نضيرة حين رأوا القباب التي هناك، واعتزته حين قرب من المدينة حال ثبت فيها دمه فهو سيل، وفر اصطباره فهو كالجفاء أي الزبد ويسبب ما يعتري من الحال يرى المخاطب السائرين جادين في السير لشدة الشوق إلى المدينة المنورة فكيف بالشوق إليه صلى الله عليه وآله وسلم وللزائرين حين القرب ارتفاع الأصوات بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

- فَإِذَا شِمِمْتَ أَوْ شَمِمْتَ رَبَاهَا
لَا حَ مِنْهَا بَرْقٌ وَقَاحَ كِبَاءُ⁽³⁰⁹⁾
أَيُّ نُورٍ وَأَيُّ نَوْرٍ شَهْدَانَا
يَوْمَ أَبَدَتْ لَنَا الْقَبَابَ قُبَاءُ⁽³¹⁰⁾
قَرَّ مِنْهَا دَمْعِي وَقَرَّ اصْطِبَارِي
فَقَرَى الرَّكْبَ طَائِرِينَ مِنَ الشَّوْ
قَدُمُوعِي سَيْلٌ وَصَبْرِي جُفَاءُ⁽³¹¹⁾
قِ إِلَى طَيْبَةٍ لَهُمْ ضَوْضَاءُ⁽³¹²⁾

ما يعترى القادمين من عظيم المهابة

- فَكَأَنَّ الزُّوَارَ مَا مَسَّتِ الْبَاءُ
سَاءٌ مِنْهُمْ خَلْقًا وَلَا الضَّرَاءُ⁽³¹³⁾
كُلُّ نَفْسٍ مِنْهَا ابْتِهَالٌ وَسُؤْلٌ
وَدُعَاءٌ وَرَغْبَةٌ وَابْتِغَاءُ⁽³¹⁴⁾
وَزَفِيرٌ تَنْظُنُّ مِنْهُ صُدُورًا
صَادِحَاتٍ يَعْتَادُهُنَّ زُقَاءُ⁽³¹⁵⁾
وَبُكَاءٌ يُعْرِيهِ بِالْعَيْنِ مَدُّ
وَنَحِيْبٌ يَحْنُ لَهُ اسْتِعْلَاءُ⁽³¹⁶⁾
وَجُسُومٌ كَأَنَّهَا رَحَضَتْهَا
مِنْ عَظِيمِ الْمَهَابَةِ الرَّحَضَاءُ⁽³¹⁷⁾
وَوَجُوهٌ كَأَنَّهَا أَلْبَسَتْهَا
مِنْ حَيَاءٍ أَلْوَانَهَا الْحَرَبَاءُ⁽³¹⁸⁾
وَدُمُوعٌ كَأَنَّهَا أَرَسَتْهَا
مِنْ جُفُونٍ سَحَابَةٌ وَطَفَاءُ⁽³¹⁹⁾

المواجهة الشريفة

- فَحَطَطْنَا الرَّحَالَ حَيْثُ يُحَطُّ
الْوِزْرُ عَنَّا وَتُرْفَعُ الْحَوَجَاءُ⁽³²⁰⁾

(319-313) كما يرى المخاطب أن الزائرين للمدينة المنورة رغم شدة السفر كأنهم ما مستهم البأساء ولا الضراء. وأتى بعد ذلك بوصف ما يعترى القادمين عليه من عظيم المهابة التي تستولي على القلوب. فلنفوس القادمين عليه صلى الله عليه وآله وسلم ابتهال أي تضرع إلى الله تعالى، وتوسل بأحب الخلق إلى الله تعالى ودعاء ورغبة وابتغاء لجزيل الثواب، ولتلك النفوس زفير من شدة الخشية وعظيم المهابة ولشدة ذلك الزفير كأنه زقاء، ومن شدة الشوق أسبلت العيون الدموع الغزيرة لهيبة المثل بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم، ومدّ البكاء سيل من الدموع وحث النحيب وهو رفع الصوت بالبكاء استعلاء. وللجلالة التي استولت على القلوب أصبحت جُسوم القادمين من كثرة الرُحَضَاءِ، وهو العرق أثر الحمى - كأنه غسلها، ولعظمة الموقف تغيرت الوجوه حياء كأنما ألبستها الحرياء ألوانها ولجلال الموقف تهاطلت الدموع بسبب الأسباب الباعثة على البكاء، وقد شبه هذه الأسباب بالسحابة الدائمة السح.

(320-325) ذكر في هذه الأبيات وقوفه في المواجهة الشريفة فابتدأ بأنه حط رحله في المدينة المنورة حيث يحط القاصد ذنوبه ويرفع سائلاً حاجته ثم وصف موقفه في المواجهة النبوية بأنه أقرأ السلام أكرم الخليقة صلى الله عليه وآله وسلم حيث إن إقراء السلام عند قبره يُسمع كما جاء في الحديث: "ما من أحد يسلم عند قبري إلا رد الله تعالى علي روجي حتى أرد عليه السلام" (روى هذا الحديث أبو داود =

الله مِنْ حَيْثُ يُسْمَعُ الْإِقْرَاءُ (321)
 هَلْ صَبَّأً مِنَ الْحَبِيبِ لِقَاءُ (322)
 لَا كَلَامٌ مِّنَّا وَلَا إِيْمَاءُ (323)
 تَ إِلَيْهِ وَلِلْجُسُومِ انْتِئَاءُ (324)
 مَحْ عِنْدَ الضَّرُورَةِ الْبُخْلَاءُ (325)

وَقَرَأْنَا السَّلَامَ أَكْرَمَ خَلْقٍ
 وَدَهْنَنَا عِنْدَ اللَّقَاءِ وَكَمْ أَدْ
 وَوَجَمْنَا مِنَ الْمَهَابَةِ حَتَّى
 وَرَجَعْنَا وَلِلْفُؤُوبِ النِّفَاتِ
 وَسَمَحْنَا بِمَا نُحِبُّ وَقَدْ يَسُدُّ

استعطافه صلى الله عليه وآله وسلم

مِي عَلَيْهِ مَدْحٌ لَهُ وَتَنَاءُ (326)
 هِ بِلا كَاتِبٍ لَهَا إِمْلَاءُ (327)
 فَكَأَنَّ الصَّبَا لَدَيْكَ رُخَاءُ (328)
 هِ وَكَلَّتَاهُمَا مَعاً رَمْدَاءُ (329)
 فِي غَزَاةٍ لَهَا الْعُقَابُ لِوَاءُ (330)

يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي ضِمَّنْ إِقْسَا
 بِالْعُلُومِ التِّي عَلَيْكَ مِنَ اللِّ
 وَمَسِيرِ الصَّبَا بِنَصْرِكَ شَهْرًا
 وَعَلَيَّ لَمَّا نَفَلْتِ بَعِينِي
 فَعَدَا نَاطِرًا بَعِينِي عُقَابِ

= في جامعهه والسيوطي في الجامع الصغير، وذكر الحفني في حواشيه على الجامع أن رده عليه الصلاة والسلام إذا كان المسلم بالقرب لأن الحديث في الجامع ليس فيه عند قبري، بل لفظه: ما من أحد يسلم عليّ، ولما استولت عليه سبحات الجلال ذهل عند وقوفه في المواجهة الشريفة، وهذا شأن الصب عند لقاء الحبيب.

وكما ذهل كذلك وجم أي سكت من أجل المهابة فلا كلام ولا إشارة. ثم لما عزم على القبول من الزيارة كان لقلبه التفات إلى المدينة، ولجسمه انعطاف إليها.

وختم وصفه لزيارته صلى الله عليه وآله وسلم بأنه سمح لنفسه بفراق ما يجب من الوقوف في المواجهة الشريفة وإن كانت نفسه بخيلة بها لكن قد يسمح البخيل عند الضرورة، والضرورة الداعية إلى الرجوع القيام بالشؤون الملقة على الإنسان.

(326-330) لما تم مقصد الزيارة المشرفة شرع في مقصد آخر وهو التضرع والابتهال إلى الله تعالى والاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فبدا ذلك بمناداته عليه الصلاة والسلام بكنيته وهو: أبو القاسم ذاكراً إن أقساماته الآتية بعد بيت ندائه ضمنها مدحه والتناء عليه، وجواب الأقسام سيأتي بعد خمسة وخمسين بيتاً وهو قوله (380- الأمان الأمان إن فؤادي.. البيت).

واستعطاف الناظم ليفوز في الدنيا والآخرة وليأمن من المحن. أقسم أولاً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالعلم الذي من إملاء جبريل أي بالوحي حال أن هذه العلوم بلا كاتب وإقسامه لأجل الأمان له. وأقسم ثانياً بمسير الصبا بنصره صلى الله عليه وآله وسلم والصابا هي الريح التي مهبطها من مطلع الشمس ونصر بها صلى الله عليه وآله وسلم يوم الخندق، وأقسم ثالثاً على الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمعجزة التي وقعت على عليّ فإنه لما كان الرمذ بعينيه تفل فيهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعدتا صحبتي وأصبح نظره كمنظر العقاب وأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الراية التي تسمى العقاب في غزوة خيبر وهي سنة سبع من الهجرة.

الإقسام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأله

- وَبَرِيحَ ائْتَيْنَ طَيِّبُهُمَا مِنْ _____ أَكَّ الَّذِي أُودِعَتْهُمَا الزَّهْرَاءُ (331)
- كُنْتُ تُؤْوِيهِمَا إِلَيَّ كَمَا أ _____ وَتُ مِنَ الْخَطِّ نُقِطَتَيْهَا الْيَاءُ (332)
- مِنْ شَاهِدَيْنِ لَيْسَ يُسَيِّنِي الطُّ _____ فُ مُصَابِيَهُمَا وَلَا كَرِبْلَاءُ (333)
- مَا رَعَى فِيهِمَا ذِمَامَكَ مَرُوءُ _____ سٌ وَقَدْ خَانَ عَهْدَكَ الرَّؤْسَاءُ (334)

(331-345) إقسامه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولاً بالحسن والحسين، وعبر عنهما بالريحانيتين اقتباساً من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "هما ريحانتي من الدنيا" رواه البخاري، وهاتان الريحانتان طيبيهما من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أودع في فاطمة الزهراء

وأفاد بعد ذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يضمها لمحبه إياهما كما تضم الياء نقطتيهما.

بين أنّ الريحانيتين شهيدان ليس ينسبه في مصابهما الطفُّ ولا كربلاء وهما موضعان بالعراق، وقيل موضع واحد، وشهادة الحسن رضي الله عنه أنه مات مسموماً سنة خمسين سنة يزيد بإغراء امرأة الحسن على سمه، وأما شهادة الحسين رضي الله عنه فكانت سنة إحدى وستين يوم الجمعة عاشر المحرم قتله الجيش الذي أرسله يزيد ابن معاوية، وكان قتله بكربلاء بقرب الكوفة.

لم يراع في الريحانيتين الحسن والحسين رضي الله عنهما حرمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم المرؤوسون ولا الرؤساء وخانوا العهد. ذكر أن المكرة بالشهيدتين أبدلوا الحمية في نصر القربى من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي قرابته بالبغض وعدم النصره وخالفوا قوله تعالى: "قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى" (الشورى: آية 23)، وشبه المكرة بقرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم باليرابيع في المكر، والناقاة: إحدى حجرتي اليربوع التي يخفيها وذكر أن قلوب هؤلاء المكرة قست على قرابته صلى الله عليه وآله وسلم الذي بكت الأرض والسماء ففقدهم.

وأمر الناظم المخاطب أن يبكي على الحسينين الشهيدتين، والبكاء قليل في عظيم المصاب.

ذكر الناظم أنه ازداد كربيه حتى أنه كلما مر بمكان تصور أنه الأرض التي قتل بها الحسين رضي الله عنه، وكذلك كل يوم أصبح فيه تصور أنه عاشوراء التي قتل في يومها الحسين.

نادي أهل بيت النبي وهم قرابته من النسب وأمهات المؤمنين مخبراً بأن فواده ليس ينسبه مصابهم حصول الشدائد. واستثنى حين حديثه على المصاب الحال بآل البيت أنه يفوض أمره إلى الله تعالى في هذه المصيبة، وتفويض الأمور إلى الله براءة من الشرك.

ويخفف المصاب النازل بسبب مقتل الحسين ما وقع من خلفاء بني العباس بخروجهم على بني أمية فنزعوا الخلافة منهم، والزوراء: ناحية ببغداد وشبه بعد ذلك ما نال الأعادي من القتل بالسيوف والرماح، وشبه أولئك القتلى الذين سالت دماؤهم بالزق الذي حل وكاؤه، والوكاء ما يشد به رأس الزق.

وخاطب آل البيت بأنهم طابوا أصولاً ونفوساً وأفعالاً وأقوالاً وصفات فطاب مدحهم، وطاب رثاؤهم، وهو تعداد المحاسن بعد الموت. وشبه الناظم نفسه بسيدنا حسان رضي الله عنه حين يمدح آل البيت وشبه نفسه بالخنساء حين يرثيهم وينوح عليهم، وسيدنا حسان هو ابن ثابت الأنصاري الخزرجي (54هـ) شاعر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ينافح عنه أي يدافع.

وأما الخنساء فهي بنت عمرو بن الشريد بعدها بعضهم من الصحابييات كانت من أشعر الناس وتوفيت سنة (24هـ).

وختم توجهه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله فيهم: بأنهم سادوا الناس بالتقى بعد النسب الطاهر، وأما غيرهم ممن لم يعملوا بعملهم من التقوى فإنما سودتهم البيضاء أي الفضة والصفراء أي الذهب.

بَى وَأَبَدَتْ ضِبابَهَا النَّافِقَاءُ (335)
 بَكَتِ الْأَرْضُ فَقَدَهُمْ وَالسَّمَاءُ (336)
 فِي عَظِيمٍ مِنَ الْمَصَابِ الْبُكَاءُ (337)
 مِنْهُمْ كَرَبَلًا وَعَاشُورَاءُ (338)
 لَيْسَ يُسْأَلُ عَنْكُمْ النَّسَاءُ (339)
 وَتَقْوِيضِي الْأُمُورَ بَرَاءُ (340)
 خَفَقَتْ بَعْضَ وَزْرِهِ الزَّوْرَاءُ (341)
 مِنْهُمْ الزَّقُّ حُلَّ عَنْهُ الْوَكَاءُ (342)
 مَدْحٌ لِي فِيكُمْ وَطَابَ الرَّثَاءُ (343)
 تَعْلَمُكُمْ فَإِنِّي الْخَنَسَاءُ (344)
 سَوَدَّتْهُ الْبَيْضَاءُ وَالصَّفْرَاءُ (345)

أَبَدُوا الْوَدَّ وَالْحَفِظَةَ فِي الْقُرْ
 وَقَسَتْ مِنْهُمْ قُلُوبٌ عَلَى مَنْ
 فَابْنَهُمْ مَا اسْتَطَعَتْ إِنَّ قَلِيلًا
 كُلَّ يَوْمٍ وَكُلُّ أَرْضٍ لِكَرْبِي
 آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ إِنْ فُؤَادِي
 غَيْرَ أَنِّي فَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ
 رَبِّ يَوْمٍ بِكَرَبَلَاءَ مُسِيءٍ
 وَالْأَعْيَادِي كَأَنَّ كُلَّ طَرِيحٍ
 آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ طِبْنُكُمْ فَطَابَ الْـ
 أَنَا حَسَّانُ مَدْحِكُمْ فَإِذَا نُحْـ
 سُدَّتُمْ النَّاسَ بِالنُّقَى وَسِوَاكُمْ

الإقسام بالصحابة الكرام

وَبِأَصْحَابِكَ الَّذِينَ هُمْ بَعْدُ — دَاكَ فِينَا الْهُدَاةُ وَالْأَوْصِيَاءُ (346)

(346-354) أقسم بأصحابه صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم بعده هداة في الناس وأوصياء بأمر الدين، فجاهدوا وساسوا الأمة ونشروا العلوم وأحسنوا بعده الخلافة مثل: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية، ثم تبعهم التابعون، وكل إزاء لما تولى أي قائم بما تولاه ثم وصف الصحابة بأنهم أغنياء ذوو نزاهة، فقراء إلى الله تعالى بطواهرهم وبواطنهم، علماء بما ورثوهم من علومه صلى الله عليه وآله وسلم، أئمة وأمراء قائمون بحقوق الإمارة ثم وصف الصحابة الكرام بأنهم زهدوا في الدنيا ما لها وجاهاها فما عُرف منهم ميل إلى الدنيا ولا رغبة فيها.

ثم وصف الصحابة بأنهم في الوغى، أي الحرب أرخصوا نفوس ملوك حاربوهم أي فكيف بغيرهم، وأسلاف هؤلاء الملوك غالبية السعر. وانتقل إلى وصف علمهم الجَمَّ بأنهم كلهم في أحكامهم ذوو اجتهاد تتوفر فيهم شروط الاجتهاد، وكلهم مصيبون أكفاء أي في أصل الصحبة، وإن كان هناك تفاوت في الزيادة لأن أفضل الناس بعد الأنبياء: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر ثم أهل أحد، ثم أهل بيعة الرضوان، وإلى ذلك أشار اللقاني بقوله:

وأمرهم في الفضل كالخليفة
 عدتهم ست تمام العشرة
 فأهل أحد فبيعة الرضوان

وخيرهم من ولي الخلافة
 يليهم قوم كرام بررة
 فأهل بدر العظيم الشأن

والصحابه رضوان الله عليهم رضي الله عنهم أي أمنهم من سخطه وأحلهم دار كرامته، ورضوا عنه: أي لم تختلج في نفوسهم حزازة من قضاء الله تعالى فكيف يصل إليهم الخطأ.

(347) ن وَكُلُّ لِمَا تَوَلَّى إِزَاءُ
 (348) عُلَمَاءٌ أَيْمَّةٌ أَمْرَاءُ
 (349) لُّ إِلَيْهَا مِنْهُمْ وَلَا الرَّعْبَاءُ
 (350) حَارِبُوهَا أَسْلَابُهَا إِغْلَاءُ
 (351) وَصَوَابٍ وَكُلُّهُمْ أَكْفَاءُ
 (352) هُ فَائِي يَخْطُو إِلَيْهِمْ خَطَاءُ
 (353) وَعَلَى الْمَنْهَجِ الْحَنِيفِيِّ جَاءُوا
 (354) يُونَ فِي فِضْلِهِمْ وَلَا نُقْبَاءُ
 (355) س بِهِ فِي حَيَاتِكَ الْإِقْتِدَاءُ
 (356) أَرْجَفَ النَّاسُ إِنَّهُ الدَّادَاءُ
 (357) ن عَلَى كُلِّ كُرْبَةٍ إِشْفَاءُ

أَحْسَنُوا بَعْدَكَ الْخِلَافَةَ فِي الدِّيِّ
 أُغْنِيَاءُ نَزَاهَةً فُقَرَاءُ
 زَهْدُوا فِي الدُّنَا فَمَا عُرِفَ الْمِيِّ
 أَرْخَصُوا فِي الْوَعَى نُفُوسَ مُلُوكِ
 كُلُّهُمْ فِي أَحْكَامِهِ دُو اجْتِهَادِ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ
 جَاءَ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ بِحَقِّ
 مَا لِمُوسَى وَلَا لِعِيسَى حَوَارِ
 بِأَبِي بَكْرٍ الَّذِي صَحَّ لِلَّيِّ
 وَالْمُهَدِّي يَوْمَ السَّقِيفَةِ لَمَّا
 أَنْقَذَ الدِّينَ بَعْدَ مَا كَانَ لِلدِّيِّ

وقوله (وجاء قومٌ من بعد قوم) البيت: أي أن الصحابة في إسلامهم جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حال كونهم قوماً بعد قوم والسابقون السابقون أولئك المقربون فالداخلون في الإسلام في ازدياد لا في نقصان وذلك من علامات النبوة وكلهم سائرون على المنهج السوي وجاءوا عليه.

وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضلوا أصحاب موسى وهم النقباء كما فضلوا أصحاب عيسى وهم الحواريون.

(355-358) لما أقسم بالصحابة كلهم إجمالاً خصص العشرة المبشرين بالجنة وابتدأ بأفضل الخلق بعد الأنبياء: أبي بكر رضي الله عنه وهو عبد الله بن عثمان أبي قحافة ولقبه عتيق، وترجمته تستوعب مجلدات وإنما تقتطف منها زهرات شذية منها: أنه أفضل رجل طلعت عليه الشمس بعد النبيين والمرسلين وقد صح اقتداء الناس به في حياته صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك الاقتداء به في الصلاة حين مرض صلى الله عليه وآله وسلم مرض الوفاة حتى أنه لما رآه الرسول الكريم يصلي تبسم يضحك، وفي هذا أفضل دليل على أفضليته العظمى ومكانه الرفيع.

ويكفيه من المواقف الخالدات في الإسلام موقفه يوم السقيفة إذ كان قوله الفصل المبين للحق في أمر الخلافة، وقد سكن اختلاف الناس في أمرها واضطرابها بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان اضطرابهم الشديد في الخلافة كالليللة الدأداء الشديدة الظلمة.

أنقذ وخلص الدين من الثلاثي بعدما حصل له من إشرافه على كل كربة فقد ثبت الناس يوم موته صلى الله عليه وآله وسلم، ورجع الناس إلى ما رواه في محل دفنه الكريم، وكذلك فيما يتعلق بميراث الأنبياء، وموقفه يوم السقيفة كما تقدم وكذلك في حرب أهل الردة. انفق ماله كله في رضا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه نزل قوله تعالى: "وسيجنبها الأتقى، الذي يؤتي ماله يتزكى" (الليل: الآية 17-18) وصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه ليس أحد من الناس أمنَّ عليَّ بنفسه وماله من أبي بكر "الحديث"، وفضائله متنوعة كثيرة ولا من ولا انقطاع لعطائه رضي الله عنه، وتوفي رضي الله عنه سنة (13هـ).

أَنْفَقَ الْمَالَ فِي رِضَاكَ وَلَا مَ — مِنْ وَأَعْطَى جَمًّا وَلَا إِكْدَاءً (358)
 وَأَبِي حَقِصَ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّ — لَهُ بِهِ الدِّينَ فَارْعَوَى الرَّقَبَاءَ (359)
 وَالَّذِي تَقَرَّبُ الْأَبَاعِدُ فِي اللَّ — لَهُ إِلَيْهِ وَتَبَعُدُ الْقُرَبَاءَ (360)
 عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مَنْ قَوْلُهُ الْفَصْدُ — لُ وَمَنْ حُكْمُهُ السَّوِيُّ السَّوَاءُ (361)
 فَرًّا مِنْهُ الشَّيْطَانُ إِذْ كَانَ قَارُو — قَاءً فَلِلنَّارِ مِنْ سَنَاءِ انْبِرَاءِ (362)
 وَأَبْنِ عَقَانَ ذِي الْأَيْدِي الَّتِي طَا — لَ إِلَى الْمُصْطَفَى بِهَا الْإِسْدَاءُ (363)
 حَفَرَ الْبُيُوتَ جَهَّزَ الْجَيْشَ أَهْدَى — الْهَدْيَ لَمَّا أَنْ صَدَّهُ الْأَعْدَاءُ (364)

(362-359) وثنى في إقسامه بعمر وهو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل الفاروق الذي أعز الله تعالى به الإسلام فإنه حين أسلم أظهر إسلامه لأنه لما أسلم قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله ألسنا على حق؟ فقال: بلى، فقال: ففيم الإخفاء فخرج المسلمون في صفين: عمر في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخل المسلمون المسجد فكريت قريش لذلك فقد كان إسلامه فتحاً، وهجرته نصراً وإمامته رحمة، فبإسلامه أنزجر الأعداء المترقبون بالإسلام. وصفه بأشهر أوصافه رضي الله عنه بأنه تقرب الأبعاد إليه لأجل رضا الله تعالى وتبعد القرباء لأجل ذلك. ثم سماه باسمه فهو عمر بن الخطاب الذي قوله الفصل وهو الحق وحكمه لا اعوجاج فيه فهو العدل السوي فقد كان عمر أصلب الناس في دين الله. لما كان فاروقاً فر منه الشيطان وقد أطفأ نور النار التي هي أصل الشيطان، وفضائله وما ورد في شأنه كثير، ودامت خلافته عشرة أعوام وستة وخمسين يوماً. طعنه فيروز غلام المغيرة بن شعبه سنة (23هـ).

(367-363) وذكر أن الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين هو ذو النورين عثمان بن عفان الذي أسدى أيادي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي حفر بئر رومة وقد كانت لليهودي وهي الماء العذب الوحيد في المدينة، فحين قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حفر بئر رومة أو اشتراها فله الجنة فاشتراها بعشرين ألف درهم وأوقفها على المسلمين، وحفرها.

وجهاز جيش العسرة في غزوة تبوك فقد حمل على ألف بعير وسبعين فرساً وأتى بعشرة آلاف دينار فوضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستغفر له، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن عثمان رضي الله عنه اشترى الجنة مرتين بحفر بئر رومة وتجهيز جيش العسرة، وفي غزوة الحديبية نحر هديه بمكة دون غيره فإنهم نحرُوا هديهم بالحديبية لما صد الأعداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند دخول الحرم وكان ذلك سنة ست من الهجرة.

ولما امسكوا عثمان عندهم لما أرسله الرسول ليكلم أشراف قريش في أن يرجعوا عن منعه قالوا له: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف فأبى أن يطوف حين منعوا الرسول الكريم من دخول مكة والطواف.

وبسبب ما وقع من عثمان من امتثال أمر الرسول في الذهاب إلى العدو مع عدم مبالاته بما يقع له من العداء، وبسبب تأدبه مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عدم الطواف إذ لم يطف النبي صلى الله عليه وآله وسلم جُوزي حين بيعة الرضوان بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بايع عنه فضرب بيده اليمنى على اليسرى وبألها من بيعة بيده البيضاء أي: البالغة الكرم.

وتركه للطواف وإن كان تركاً للعبادة وهي الطواف فإنه تضاعف الأجر فيه دون الفعل للأدب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحبذا الأدباء.

وامتيازات عثمان كثيرة، منها: أنه رابع أربعة في الإسلام وزوج النبي عليه الصلاة والسلام بابنتيه، وجمع المصحف على صورته التي أجمع عليها المسلمون. وقتل رحمه الله محصوراً بداره سنة (35هـ).

يَذُنُّ مِنْهُ إِلَى النَّبِيِّ فَنَاءُ (365)
 نِ يَذُّ مِنْ نَبِيِّهِ بَيْنَ ضَاءُ (366)
 مَالُ بِاللَّتْرِكِ حَبَّذَا الْأَدْبَاءُ (367)
 نُّ فُوَادِي وَدَادُهُ وَالْوَلَاءُ (368)
 وَمِنْ الْأَهْلِ تَسْعَدُ الْوُزَرَءُ (369)
 بَلْ هُوَ الشَّمْسُ مَا عَلَيْهِ غِطَاءُ (370)

وَأَبَى أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ إِذْ لَمْ
 فَجَزَّئَهُ عَنْهَا بِيَعَةِ رَضُوا
 أَدَبٌ عِنْدَهُ تَضَاعَفَتِ الْأَعْ
 وَعَلِيٌّ صِنُو النَّبِيِّ وَمَنْ دِي
 وَوَزِيرُ ابْنِ عَمِّهِ فِي الْمَعَالِي
 لَمْ يَزِدْهُ كَشْفُ الْغِطَاءِ يَقِينًا

(370-368) وذكر ختام الخلفاء الأربعة علي بن أبي طالب، ومعنى البيت أقسم عليك بعلي صنو النبي أي أخيه لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أخى بينه وبينه وقال له: "أنت أخي في الدنيا والآخرة" رواه الترمذي، والذي هو اعتقاد فوادي حبه ومواليته ومناصرتة، وذكر ذلك الناظم رداً على الخوارج الذين سبوه واستنقصوه.

وهو وزير ابن عمه أي وزيراً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وثبتت له الوزارة استفادةً من أمور كثيرة تدل على ذلك منها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" ومؤاخاة النبي له، ومنامه في فراشه لما عزم المشركون قتله صلى الله عليه وآله وسلم فعلى هذا لا منافاة بين ما جاء هنا وبين قوله صلى الله عليه وآله وسلم وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر لما قدمناه.

وقوله: (ومن الأهل تسعد الوزراء) تذييل أفاد به ما خص النبي صلى الله عليه وآله وسلم به علياً مثل إرساله قاضياً في اليمن. وأشار بقوله: (لم يزدته كشف الغطاء يقينا) إلى قول علي كرم الله وجهه: (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا)، ثم قال: بل هو الشمس في فضله وعلمه وزهده وأحقية خلافته وهو الشمس لا غطاء عليه. وقتله للعين عبد الرحمن بن ملجم سنة (40 هـ).

(371-379) وأقسم عليه بباقي العشرة المبشرين بالجنة على حسب مراتبهم التي بينها صلى الله عليه وآله وسلم تفضيلاً وترتيباً. ابتداءً بذكر طلحة رضي الله عنه وهو طلحة بن عبد الله القرشي التميمي وسماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم طلحة الخير وطلحة الفياض، وطلحة الجود، وعطاياه كالسحاب المرسلّة وتصدق في يوم مائة ألف، ولم يجد ثوباً يذهب به إلى المسجد وأشار الناظم إلى موقفه بأحد، فإنه بقي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد حين فرّ الكثير ووقاه وقد وجبت له الجنة قتل سنة (36 هـ) يوم الجمل وهو أحد الستة من أصحاب الشورى.

وثنى بذكر الزبير رضي الله عنه، وهو الزبير بن العوام القرشي الأسدي ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صفية، وأحد الستة من أصحاب الشورى وهو أول من سل سيفاً في سبيل الله وفتح مصر مع عمرو بن العاص، وقتل الزبير سنة (36 هـ). وأشار الناظم إلى أنه والد القرم أي السيد الكريم عبد الله بن الزبير الذي ولدته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عن الجميع، وقتله جيش الحجاج وهو محصور بمكة عند الكعبة سنة (73 هـ).

والصفيين تثنية صفي وهو الحبيب المصافي والتويمان الولدان في بطن واحد، وقصد الناظم أن الفضل توأم بينهما وهما سعد وسعيد. أما سعد فهو سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري أبو إسحاق أحد الثمانية السابقين للإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو أول من رمى بسهم في الإسلام وشهد المشاهد كلها، وعلى يديه فتحت مدائن كسرى، وقد اعتزل الفتنة وتوفي بالعقيق سنة (55 هـ)، ودفن بالبيقاع وهو آخر المهاجرين موتاً.

وأما سعيد فهو ابن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو ابن عم عمر، وزوج أخته، والسبب في إسلامه، توفي سنة (50 هـ)، ودفن بالبيقاع، وهما إن عدت الأصفياء كانا من أكابرهم.

وأقسم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بآب بن عوف رضي الله عنه، وهو عبد الرحمن بن عوف بن الحارث القرشي الزهري أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، والعشرة المشهود لهم بالجنة، شهد المشاهد كلها وثبت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد، وصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه الركعة الأخيرة من صلاة الصبح، وكان كثير المال محظوظاً في التجارة، وكان كثير الإنفاق، فقد تصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشطر ماله، وكان أهل المدينة عيالاً عليه، ثلث يقرضهم وثلث يقضي ديونهم وثلث يصلهم توفي سنة (32 هـ)، في خلافة عثمان.

وأقسم بالمكنى أبا عبيدة، وهو أبو عبيدة عامر بن الجراح القرشي الفهري أحد العشرة المبشرين بالجنة شهد المشاهد كلها وثبت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد، ونزع بأسنانه حلقتين دخلتا في وجنتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وواه أبو بكر على الشام وعمر وهو أمين هذه الأمة. توفي سنة (18 هـ) شهيداً بالطاعون في طاعون عمواس، وأقسم عليه بعميه أي اخوي أبيه صلى الله عليه وآله وسلم لأبيه وهما: حمزة والعباس ابنا عبد المطلب.

وعبر عنهما الناظم بأنهما: نيرا المجد، وكل منهما أتاه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إثناءً بوزن كتاب، أي أتاها منه ما يستفاد من النعم والخيرات من غير تعب.

واستشهد حمزة رضي الله عنه بأحد سنة (3 هـ)، وهو أسد الله وكان شجاعاً لا يطاق وأسلم قبل عمر بثلاثة أيام، وتوفي العباس سنة (32 هـ) بالمدينة وقبره مشهور بالبيقاع، وصح حديث "العباس مني وأنا منه" وبارك في ذريته فقد ولوا الخلافة طوال مات السنين وقد استسقى به عمر الغيث، وأقسم بأب السبطين وهما الحسن والحسين، وهي فاطمة رضي الله عنها وعنهما، وهي أصغر بناته صلى الله عليه وآله وسلم وزوج علي كرم الله وجهه، زوجها له النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنة الثانية من الهجرة، وكان سنهما حين تزوجها عليّ (15 سنة) وأشهرأ، قال ابن عبد البر هي وأم كلثوم أفضل بناته، وكانت فاطمة أحب بناته إليه، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنها سيده نساء أهل الجنة، وتوفيت بعده في رمضان سنة إحدى عشرة.

وأقسم الناظم ببنيها وهم الحسن والحسين، ومحسن، وقد مات صغيراً، وأم كلثوم وزينب وأولادهم، ولم يكن له صلى الله عليه وآله وسلم عقب إلا منها من جهة السبطين. وقوله: "ومن حوته العباء" أي ما اشتمل عليه الكساء وهم عليّ وفاطمة وابناهما.

- وَأَحَدًا يَوْمَ قَرَّتِ الرَّقْعَاءُ (372) طَلْحَةَ الْخَيْرِ الْمُرْتَضِيهِ رَفِيقًا
- مِ الَّذِي أَنْجَبَتْ بِهِ أَسْمَاءُ (373) وَحَوَارِيَّكَ الزُّبَيْرِ أَبِي الْقُرْ
- وَسَعِيدٍ إِنْ عُدَّتِ الْأَصْفِيَاءُ (374) وَالصَّفِيِّينَ تَوَامَ الْفَضْلِ سَعْدٍ
- يَا يَبْدُلِ يَمِيدُهُ إِثْرَاءُ (375) وَابْنَ عَوْفٍ مَنْ هَوَّنتَ نَفْسُهُ الدُّنْ
- زِي إِلَيْهِ الْأَمَانَةَ الْأَمَّاءُ (376) وَالْمُكَّيَّ أَبَا عُبَيْدَةَ إِذْ يَعُ
- دِ وَكُلُّ أَتَاهُ مِنْكَ إِثَاءُ (377) وَبِعَمِّيكَ نَيَّيرِي فَلَاكِ الْمَجْمُ
- وَبَنِيهَا وَمَنْ حَوَّثَهُ الْعَبَاءُ (378) وَبِأَمِّ السَّبْطَيْنِ زَوْجِ عَلِيٍّ
- نَ بِأَنْ صَانَهُنَّ مِنْكَ بِنَاءُ (379) وَيَأْزُوجَكَ اللَّوَاتِي تَشْرَفُ

طلب الأمان للحصول على النجاة

- الْأَمَانَ الْأَمَانَ إِنْ فُؤَادِي مِنْ ذُنُوبٍ أَنْيْتُهُنَّ هَوَاءُ (380)

= وأقسم عليه أخيراً بأزواجه رضي الله عنهن جميعاً اللواتي تشرفن ببناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهنّ وصانهن ذلك، وهن إحدى عشرة متفق عليهن، هن: ست قرشيات، وأربع عربيات، وواحدة إسرائيلية. أولهن: خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية، وتوفيت قبل الهجرة لثلاث سنين وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم فمن مارية القبطية ثم سودة بنت زمعة توفيت سنة (54 هـ) ، وعائشة بنت أبي بكر الصديق وتوفيت سنة (57 هـ) وكانت فقيهة حافظة فصيحة، وهي وخديجة أفضل أزواجه، وحفصة بنت عمر بن الخطاب وتوفيت سنة (45هـ)، وأم سلمة هند بنت أبي أمية وماتت سنة (57هـ)، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب وماتت سنة (44هـ)، وزينب بنت جحش وهي أول من مات من أزواجه بعده سنة (20 هـ)، وزينب خزيمة الهلالية تزوجها سنة (3هـ) ثم ماتت بعد ثلاثة أشهر، وميمونة بنت الحارث الهلالية وماتت سنة (51هـ)، وجويرية بنت الحارث وماتت سنة (50هـ)، وصفية بنت حيي وهي من سبي خيبر وماتت سنة (50هـ).

(380-420) هذا مبدأ جواب الإقسامات السابقة التي ابتدأها بقوله:

يا أبا القاسم الذي ضمن إقسا مي عليه مدح له وثناء

إلى ما قبل البيت هذا:

وبأزواجك اللواتي تشرف ن بأن صانهن منك بناء

وقوله: الأمان الأمان بالنصب إما مفعول به، وإما مفعول مطلق أي أئنا الأمان أو أمنا الأمان من العقاب، والمعنى: أقسم عليك بمن ذكرت في الأبيات السالفة أن تتلني الأمان من ذنوب لأن قوله: (من ذنوب أتيتها هواء) أي فارغ تعليل.

وبعد طلب الأمان ذكر أنه تمسك بالوداد أي بمحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستمسكاً بالحبل الذي تمسك به الشفعاء من الأنبياء والأولياء والعلماء، والصالحين الذين لم تحصل لهم مرتبة الشفاعة إلا بواسطة محبتهم لك، فأنا متمسك بما تمسكوا به لتحصل لي شفاعتك، جرت عادة كرم الله تعالى أن من تعلق بمحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يمسه سوء فلذلك قال الناظم: (وأبى الله أن يمسنى سوء) البيت، إن معشر المحبين وخدام النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعونهم ويأملون فيه للأمر العظيمة التي أضعفها في=

= القلوب رمضاء: أي نار تتقد فأنت الرجاء في الشفاعة.

ثم قال الناظم: (وأتينا إليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهازيل فقراء من الأعمال الصالحة وقد حملتنا إلى حضرتك التي فيها الغنى ركائب أجهدها طول السير اغتناماً للوقوف بساحات الكرم أي: بقلوبنا أو إلى قبرك المكرم، واستترت في الصدور حاجات نفس أملت حصولها من جنابك وليس لها عن ندى يدك استغناء.

طلب الناظم منه صلى الله عليه وآله وسلم إسعافه بمراده قائلاً: (يا من هو المغيث للمكروبين) والغيث والمطر للقاحطين إذا ضيقَ على الخلق الجذب.

وهو الجواد الذي تفرج به الغمة عن الأمة الإسلامية والشدة هذا البيت وهو: (يا رحيمًا... الخ) يتضمن غاية الاستعطاف طلباً للشفاعة في اليوم الذي تكون له صلى الله عليه وآله وسلم الشفاعة العظمى وناداه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: "يا شفيعاً في المذنبين في الوقت الشديد الذي فيه البرءاء، يشفقون من مناقشة الحساب لأن الخوف يعم حتى من لا ذنب له".

وسأل الناظم الجود للعاصي بالشفاعة من كامل الرحمة منه صلى الله عليه وآله وسلم، ثم وضع أنه العاصي، وإنما تنكر ولم يصرح باسمه استحياء.

تداركه أي العاصي بحق حرمتك مادام له تعلق بذلك الجناب العظيم وأخبر عن العاصي المكنى به بأنه أخرته الأعمال السيئة المرتكبة منه والمال الذي لم ينفقه في وجوه الخير عما قدمه الصالحون من الأعمال الصالحات والأغنياء من الإنفاق في وجوه الخيرات.

وبأنه في كل يوم وليلى معاصيه مرتفعات مع ملائكة الليل والنهار وأنفاسه صعداً أي متواترة ممتدة من أجل ذنوبه وبأنه ولع بالبطنة وهي ملء بطنه من الطعام والشراب وذلك من الأسباب المبطنة للسير المعنوي والقلبي لأن البطن إذا امتلأ كسلت وفسد العقل في هذه الدار دار الدنيا التي فيها البطان - جمع بطين- بطاء أي غير سريعين متأخرين عن الفائزين.

وبأنه بكى ذنبه مع بيس قلبه وصلابته فانقلب البكاء بسبب تلك القساوة القلبية مكاء أي كالصفيير وبأن ذلك العاصي صار يعتب القضاء ويلومه ولا عذر لعاصٍ يحتج بالقضاء لسقوط الإثم عليه وعدم مؤاخذته لأن الله سبحانه وتعالى أجرى العادة الإلهية على الأسباب والمسببات، وإن كان كل شيء بقضاء الله تعالى فلا بد من رعاية المقامين.

وقال الإمام الغزالي: إن من جملة القضاء الدعاء لرد البلاء.

وهذا العاصي أوثقته ديون بسبب ذنوب متركمة عليه فحبسته في الدنيا كما أن ديون الآخرة بسبب التفريط في حقوق الله أنقلته وأوثقته. فما له حيلة بسبب وضعه من كثرة ذنوبه وديونه في التخلص إلا مثل حيلة الموثق أي الأسير، إما التوسل إلى الله تعالى أو الدعاء إليه. وحال العاصي أنه راج لله تعالى مؤمل منه أن تصير أعماله السوء أي السيئة بسبب غفران الله تعالى هباء كالغبار وهو راج كذلك أن تصير سيئاته حسنات، وبذلك يقال استحالت أي الخمر النجسة المحرمة خلاً وهذا من باب الاستعارة أي ما كان من الأعمال سيئاً أصبح حسنات، يا حبيب الله كل ما تهتم به يتحول من صفة إلى أخرى يتعجب منها ذوو البصائر والبصر، مثل العرجون الذي أعطاه لعكاشة يوم بدر فأصبح سيفاً.

ثم شبه إنقاذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبب دعائه وصرف العناية إليه بالماء الملح المنقلب عذباً فراتاً. وتوجع الناظم من حاله التي جرت له الذنوب قائلاً: (أه) إن كانت تغني هذه الكلمة في التوبة.

وأنا أملُ بحسن ظني توبة نصوحاً والحال أن في القلب نفاقاً وفي اللسان رياءً ومع ذلك لا أترك التوبة رجاء قبولها. وكذلك حالي تجعلني أتعجب من أي أتوب لأن جسمي في اعوجاج وانحناء من كبر سني لأن المرء على ما جُبل عليه فذكر أنه إنما أخر التوبة من أجل أنه كما قال: كنت في نومة الشباب وما استيقظت إلا في الحال التي كانت فيها لحيتي شمطاء وكذلك شعر رأسي أي اختلط سواد الشعر ببياضه.

وحين استيقظت من غرور الشباب طلبت أن أتبع أثر القوم الصالحين فطالت المسافة بيني وبينهم.

وحين صرت خلفهم أصبحت المسافة التي بيني وبينهم عسرة السلوك وأرضاً واسعة.

وبسبب اختلاف الحاليين بيني وبين الصالحين حمد الصالحون إدلاجهم أي سيرهم ليلاً كئى بذلك عن سبقهم في الطاعات ويكفي المتخلف عنهم التأخر المفوت لإدراك منازلهم.

- قَدْ تَمَسَّكَتُ مِنْ وَدَادِكَ بِالْحَبِّ — لَ الَّذِي اسْتَمَسَّكَتُ بِهِ الشُّقْعَاءُ (381)
- وَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَمَسَّنِي السُّو — ءُ بِحَالٍ وَلِي إِلَيْكَ التَّجَاءُ (382)
- قَدْ رَجَوْنَاكَ لِلْأُمُورِ الَّتِي أَبَى — رَدُّهَا فِي فُؤَادِنَا رَمَضَاءُ (383)
- وَأَتَيْنَا إِلَيْكَ أَنْضَاءَ فَقَرٍ — حَمَلْنَا إِلَى الْغِنَا أَنْضَاءُ (384)
- وَأَنْطَوَتْ فِي الصُّدُورِ حَاجَاتُ نَفْسٍ — مَالَهَا عَنْ نَدَى يَدَيْكَ أَنْطَوَاءُ (385)
- فَأَغْنَيْنَا يَا مَنْ هُوَ الْغَوْتُ وَالْغَيْبُ — نَتْ إِذَا أَجْهَدَ الْوَرَى اللَّأَوَاءُ (386)
- وَالْجَوَادُ الَّذِي بِهِ تُفْرَجُ الْعُ — مَّةُ عَنَّا وَتُكْشَفُ الْحَوْبَاءُ (387)
- يَا رَحِيمًا بِالْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا — ذَهَلَتْ عَنْ أَبْنَائِهَا الرَّحْمَاءُ (388)
- يَا شَفِيعًا فِي الْمُذْنِبِينَ إِذَا أَشَى — فِقَ مِنْ خَوْفِ دَنْبِهِ الْبُرَاءُ (389)
- جُدَّ لِعَاصٍ وَمَا سِوَايَ هُوَ الْعَا — صِي وَلَكِنْ تَنْكِيرِي اسْتِحْيَاءُ (390)
- وَتَدَارَكُهُ بِالْعِنَايَةِ مَا دَا — مَ لَهُ بِالْذَّمِّ مِنْكَ ذِمَّاءُ (391)
- أَخْرَثَهُ الْأَعْمَالُ وَالْمَالُ عَمَّا — قَدَّمَ الصَّالِحُونَ وَالْأَعْنِيَاءُ (392)

وإن رحلة المتأخر عن الصالحين من شهواته إلى اللحاق بهم يضعفه عنها الصيف والشتاء فإذا كان الصيف ينوي تأخيرها إلى الشتاء وكذلك العكس.

ثم يقول: ومما أوجب إبطاني عن رحلة اللحاق بالصالحين أن وجهي يتقي حر الصيف وبرد الشتاء، والحال أنه قد صعب عليّ اتقاء حرّ جهنم لأنني متلبس بما يؤدي إلى جهنم إلا أن يتغمدني الله برحمته.

ولأجل حالي ضقت ذرعاً مما جنيت فحياتي مكدرة إذ يومي شديد وليلتي درعاء مظلمة.

ولكن خفف أمر هذه الضائقة تذكر رحمة الله بسبب ذلك فالفرح أمام وجهي أين توجهت.

وبسبب تذكري رحمة الله مع ما جنيت أقام الرجاء في رحمة الله والخوف من عقاب الله تعالى منازعة في القلب لتضادهما.

وجرد من نفسه صاحباً له والمراد يا نفسي لا تيأس من رحمة الله وإن ضعفت عن الطاعة وانفردت بها الأقوياء.

وعلى رجاء نفسه في الرحمة بأن الله الغفور الرحيم رحمة وأحق الناس بها الضعفاء.

وأبرز رحمة الله بالضعفاء بصورة لطيفة وهي أن العرجاء من الغنم حين يكون الرجوع تسبق وكذلك الضعفاء بسبب رحمة الله.

ومن تعلق برحمة الله لا يحسد غيره فيقول هذا الطائع أثمرت نخله ونخلي لا ثمرة لها.

وليبعد نفسه عن الغرور الذي يكون عند من يرجو ولا يعمل عملاً صالحاً خاطب نفسه بالإتيان بالمستطاع من الطاعة لأنه لا ينظر إلى

نفسه قوية والفوز بسبب ذلك وذلك مما يضعف ثواب الطائع أو يُحبط عمله إذا كان قوياً.

وخاطب نفسه بأن تطلب رضا الله تعالى والعطاء منه بسبب حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وَعَلَيْهَا أَنْفَاسُهُ صُعَدَاءُ (393)
 رَرِ بِدَارِ بِهَا الْبِطَانُ بِطَاءُ (394)
 نَهَتِ الدَّمْعَ فَالْبُكَاءُ مُكَّاءُ (395)
 رَ لَعَاصٍ فِيمَا يَسُوقُ الْقَضَاءُ (396)
 شَدَّدَتْ فِي اقْتِضَائِهَا الْعُرْمَاءُ (397)
 ثَقَّ إِمَّاءٌ تَوَسَّلَ أَوْ دُعَاءُ (398)
 عٌ بِعُقْرَانِ اللَّهِ وَهِيَ هَبَاءُ (399)
 فَيَقُولُ اسْتَحَالَتِ الصَّهْبَاءُ (400)
 يَانَ فِيهِ وَتَعَجَّبُ الْبُصْرَاءُ (401)
 حَ قَاضِحَى وَهُوَ الْفِرَاتُ الرِّوَاءُ (402)
 أَلْفٌ مِنْ عَظِيمِ ذَنْبٍ وَهَاءُ (403)
 بَ نَفَاقٌ وَفِي اللِّسَانِ رِيَاءُ (404)
 مَ اعْوَجَّاجٌ مِنْ كِبَرَتِي وَأَنْحَاءُ (405)
 قَطَّاتٌ إِلَّا وَلِمَّتِي شَمَطَاءُ (406)
 مَ فَطَالَتْ مَسَافَةٌ وَأَقْتَفَاءُ (407)
 سُبُلٌ وَعُورَةٌ وَأَرْضٌ عَرَاءُ (408)
 وَكَفَى مَنْ تَخَلَّفَ الْإِبْطَاءُ (409)
 فُ إِذَا مَا نَوَيْتُهَا وَالشِّتَاءُ (410)
 دَ وَقَدْ عَزَّ مِنْ لَظِي الْإِتْقَاءُ (411)
 قَمَطْرِيَرٌ وَأَيْلَتِي دَرَعَاءُ (412)

كُلَّ يَوْمٍ دُنُوبُهُ صَاعِدَاتٌ
 أَلْفَ الْبِطْنَةِ الْمُبْطَّةِ السَّيِّئِ
 فَبَكَى ذَنْبَهُ بِقَسْوَةِ قَلْبِ
 وَغَدَا يَعْتَبُ الْقَضَاءَ وَلَا عُدَّ
 أَوْ تَقْتَهُ مِنَ الدُّنُوبِ دُيُونٍ
 مَالَهُ حِيلَةٌ سِوَى حِيلَةِ الْمُورِ
 رَاجِيًا أَنْ تَعُودَ أَعْمَالُهُ السُّورِ
 أَوْ تُرَى سَيِّئَاتُهُ حَسَنَاتِ
 كُلُّ أَمْرٍ تُعْنَى بِهِ تُقَالُ الْأَعْمَالُ
 رُبَّ عَيْنٍ تَقَلَّتْ فِي مَاءِهَا الْمِلْ
 آهٍ مِمَّا جَنَيْتَ إِنْ كَانَ يُعْنَى
 أَرْتَجِي التَّوْبَةَ النَّصُوحَ وَفِي الْقَلْبِ
 وَمَنْعَى يَسْتَقِيمُ قَلْبِي وَلِلْجَسَدِ
 كُنْتُ فِي نَوْمَةِ الشَّبَابِ فَمَا اسْتَيْ
 وَتَمَادَيْتُ أَقْتَفِي أَتَرَ الْقَوُ
 فَوْرًا السَّائِرِينَ وَهُوَ أَمَامِي
 حَمِدَ الْمُدْجُونَ غِيبَ سُورَاهُمْ
 رَحْلَةٌ لَمْ يَزَلْ يُفَقِّدُنِي الصَّيِّئِ
 يَبْقَى حُرٌّ وَجْهِي الْحَرَّ وَالْبَرَّ
 ضِيقَتْ دَرَعَاءٌ مِمَّا جَنَيْتُ فَيَوْمِي

رُ لِيُوجِّهِي أَنِّي انْتَحَى تِلْقَاءُ (413)
 بِ وَاللَّخْوَفِ وَالرَّجَاءِ إِحْقَاءُ (414)
 عَةِ وَاسْتَأْثَرْتُ بِهَا الْأَقْوِيَاءُ (415)
 النَّاسِ مِنْهُ بِالرَّحْمَةِ الضُّعْفَاءُ (416)
 دَفِي الْعَوْدِ تَسْبِقُ الْعَرْجَاءُ (417)
 أُمَرْتُ نَحْلُهُ وَنَخْلِي عَفَاءُ (418)
 رَّ فَقَدْ يُسْقِطُ الثَّمَارَ الْإِتَاءُ (419)
 هِ فِي حُبِّهِ الرِّضَا وَالْحِبَاءُ (420)

وَتَذَكَّرْتُ رَحْمَةَ اللَّهِ قَالِي شَدَّ
 فَالْحِ الرَّجَاءُ وَاللَّخْوَفُ بِالْقَلْبِ
 صَاحٍ لَا تَأْسَ إِنِ ضَعُفَتْ عَنِ الطَّاءِ
 إِنَّ لِلَّهِ رَحْمَةً وَأَحْسَنُ
 فَابْقَ فِي الْعُرْجِ عِنْدَ مُنْقَلَبِ الدَّوِّ
 لَا تَقُلْ حَاسِدًا لِغَيْرِكَ هَذَا
 وَأَتِ بِالْمُسْتَطَاعِ مِنْ عَمَلِ الْبِ
 وَحُبِّ النَّبِيِّ فَاْبغِ رِضَا اللَّ

الضراعة وإظهار التحسر

فِ أَضَرَّتْ بِحَالِهِ الْحَوْبَاءُ (421)
 ءِ وَمَنْ لِي أَنْ تَصْدُقَ الرَّغْبَاءُ (422)
 لِلْكَرَى وَأَصِيلٌ وَطَيْفُكَ رَأَى (423)
 أَمْ حُظُوظُ الْمُتَيْمِينَ حُظَّاءُ (424)
 كَ فَقَدْ عَزَّ دَاءَ قَلْبِي الدَّوَاءُ (425)

يَا نَبِيَّ الْهُدَى اسْتِعَاثَةً مَلْهُو
 يَدَّعِي الْحُبَّ وَهُوَ يَأْمُرُ بِالسُّو
 أَيُّ حُبِّ يَصِحُّ مِنْهُ وَطَرْفِي
 لَيْتَ شِعْرِي أَدَاكَ مِنْ عُظْمِ ذَنْبِ
 إِنْ يَكُنْ عُظْمُ زَلَّتِي حُجْبَ رُؤْيَا

(421-427) ثم تضرع إلى الله مستغيثًا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو مضطر أشد الاضطرار بسبب ضعف همته. ذكر الناظم أنه يدعي الحب لله ولرسوله والحال أنه يأمر بالإثم وتمنى أن يصدق في دعواه محبتهم مستفهما بقوله: من يتكفل لي أن تصدق عزيمتي. ثم إن إدعاء الحب مع الغفلة عن طاعة المحبوب لا يصح لأن طرفي واصل للكرى - أي النوم- وطيفك أي خيالك راء أي محتجب وفي هذا البيت تورية وهي الإشارة إلى احتجاب الراء عن واصل بن عطاء لأنه كان أثلغ اللسان. أي ليتني علمت أذاك أي عدم حضور خيال صورته بقلبي من أجل عظم ذنبي، أم حظوظ المتيمين -أي المحبين- متفاوتة؟ إن يكن الذي حجب رؤياك في المنام عظيم ذنبي فقد قل بل عدم الدواء الذي يكون به الشفاء. بعد ذكره التردد في وجود المحبة لمزيد الخوف ذكر أن رجاءه بسبب تعلقه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم نفى أن يصدأ بسبب الذنب قلب المحب والحال أن ذكره - أي ذلك المحبوب- جلاء لقلبه. أبدى أنه ظفر بسبب حجب الرؤية وهي عظيم الذنب فنأدى بأن علتة هذه وهي حجب الرؤية والحال أن طبيبه أكرم الخلق وهو لا تخفى عليه العلة فرغب منه أن يعجل له بالشفاء.

كَيْفَ يَصْدَا بِالذَّنْبِ قَلْبٌ مُجِيبٌ وَلَهُ ذِكْرُكَ الْجَمِيلُ جِلَاءٌ (426)
هَذِهِ عَلَّتِي وَأَنْتَ طَيِّبِي لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ فِي الْقَلْبِ دَاءٌ (427)

باعت مدحه

وَمِنَ الْفَوْزِ أَنْ أَبُتَّكَ شَكْوَى هِيَ شَكْوَى إِلَيْكَ وَهِيَ اقْتِضَاءٌ (428)
ضُمَّنَّهَا مَدَائِحُ مُسْتَطَابٌ فِيكَ مِنْهَا الْمَدِيحُ وَالْإِصْغَاءُ (429)
قَلَّمَا حَاوَلْتَ مَدِيحَكَ إِلَّا سَاعَدْتَهَا مَيْمٌ وَدَالٌ وَحَاءٌ (430)
حَقَّ لِي فِيكَ أَنْ أَسَاجِلَ قَوْمًا سَأَمَتَ مِنْهُمْ لِذُلُومِ الدَّلَاءِ (431)

(428-443) ولما أن كان طبيبه خير الخليفة صلى الله عليه وآله وسلم ورفع إليه قصته قال: إن من الفوز والنجاة أن أبئك الشكوى وهي شكوى إليك وطلب من كرمك أن أنجو ويحصل لي الشفاء وهي إدخال على الباعث لمدحه. وهذه الشكوى المتضمنة الاقتضاء أي الطلب ضمنت مدائح مستطاب مديحها والإصغاء من سامعها لأن الأوصاف النبوية الكريمة زينتها. وقل أن يستصعب عليّ مديحك إذا أردته فكلما توجهت بشكواي إلا تهيأت لي الأسباب. وإذا ساعده المدح له صلى الله عليه وآله وسلم حُقَّ له أي ثبت له في مدحه أن يساجل أي يفاخر الشعراء المادحين له عليه الصلاة والسلام، وحين يفاخرهم قال: تسلم دلاؤهم لدلوي أي أفوز عليهم. لفرط محبة الناظم ذكر أن له حمية أيغيرة تدعوه لأن يجب أن لا يسبقه أحد غيره في صوغ المديح النبوي. ثم أضاف علة أخرى علاوة على مساعدة المدح النبوي له وهي استحكام محبة قلبه له صلى الله عليه وآله وسلم وهذه المحبة لولاها لما تميز على المادحين غيره وهي التي يلذ لها مدحك لعلمها أن مدحه صلى الله عليه وآله وسلم هو الفرح التام بسبب صدق محبتي فيك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أثب خاطري أي قريحتي الشعرية التي يلذ لها مدحك لعلمها بأنه اللألاء أي الفرح التام أو المضيء المشرق. ثم شبه شعره بالبرد -أي الثياب الرفيعة- فقال: حاكت قريحتي أي نسجت من الشعر برود الم تصنعها صنعاء وهي بلدة باليمن مشهورة بجودة النسج. ومدح قصيدته الهمزية هذه ذاكراً أن نظمها فاق الدر النفيس فاستوى في العجز عن الإتيان بمثلها القريحتان الماهرة والغيبية ثم قال: إقبل هذا النظم يا أفصح من نطق بالضاد، أي يا أفصح العرب، وهم من فصاحتهم نطقوا بالضاد دون غيرهم من الأمم. استفهم بقوله: أو أفيك مدحاً بذكر الآيات؟ وهي الخصائص والمعجزات والاستفهام إنكاري، أي لا قدرة لمخلوق على أن يوفيك مدحك لا أقصد بمدحي أن أجادل قوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المادحين له، وساء ظن الأعباء الذين يظنون ذلك بي وكيف يتصور مني أن أماري المادحين وأماري أمتك الوسطى الفضلى التي غببتها أي تمننت الأنبياء أن يكونوا مثلها. ومما انفردت به الأمة الإسلامية الصادقة أنها لا تخشى الضلال لأنه صلى الله عليه وآله وسلم تركها على المحجة البيضاء والحال أنها فيها العلماء الذين هم أهل السنة والجماعة فالناس مع وجودهم آمنون. وبسبب أن في هذه الأمة وارثي هديك إنقضت أي الأنبياء وآياتك أي معجزاتك باقية فهي معجزات قبل وجودك ومعك وبعد وفاتك فمعجزاته متواصلة. والكرامات الواقعة من خواص هذه الأمة كالمعجزات حازها هؤلاء من عطائك والخواص هم: الأولياء نفعنا الله بهم جميعاً.

فِي مَعَانِي مَدِيحِكَ الشُّعْرَاءُ (432)
 لِلِّسَانِي فِي مَدْحِكَ الْعُلُوءَاءُ (433)
 حُكَّ عِلْمًا بِأَنَّهُ الْأَلَاءُ (434)
 لَكَ لَمْ تَحْكُ وَشَيْهَا صَنْعَاءُ (435)
 هِ الْيَدَانِ الصَّنَاعُ وَالْخَرْقَاءُ (436)
 دَفَقَامَتِ تَعَارُ مِنْهَا الطَّاءُ (437)
 أَيَّنَ مِي وَأَيَّنَ مِنْهَا الْوَقَاءُ (438)
 سَاءَ مَا ظَنَّهُ بِي الْأَغْيَاءُ (439)
 بِكَ لَمَّا أَتَيْتَهَا الْأَنْبِيَاءُ (440)
 وَارْتُو نُورَ هَذِيكَ الْعُلَمَاءُ (441)
 تُكَ فِي النَّاسِ مَا لَهْنُ انْقِضَاءُ (442)
 حَاذَهَا مِنْ نَوَالِكَ الْأَوْلِيَاءُ (443)

العجز عن مدحه صلى الله عليه وآله وسلم

فِكَ إِذْ لَا يَحُدُّهُ الْإِخْصَاءُ (443)
 كَ وَهَلْ تَنْزُحُ الْبِحَارَ الرَّكَّاءُ (444)
 هَا وَلِلْقَوْلِ غَايَةٌ وَأَنْتِهَا (445)

إِنَّ لِي غَيْرَةً وَقَدْ زَا حَمَنِي
 وَلِقَلْبِي فِيكَ الْعُلُوءُ وَأَنْبِي
 فَأَثَبْ خَاطِرًا يَلْدُلُهُ مَدُّ
 حَاكَ مِنْ صَنْعَةِ الْقَرِيضِ بُرُودًا
 أَعْجَزَ الدُّرَّ نَظْمُهُ فَاسْتَوَتْ فِيهِ
 فَارَضَهُ أَفْصَحَ امْرِي نَطَقَ الضَّا
 أَبْذَكَرَ الْآيَاتِ أَوْفِيكَ مَدْحًا
 أَمْ أَمَارِي بِهِنَّ قَوْمَ نَبِيٍّ
 وَلَكَ الْأُمَّةُ الَّتِي غَبَطْتَهَا
 لَمْ نَخَفْ بَعْدَكَ الضَّلَالَ وَفِينَا
 فَاثَقَّضْتَ أَيُّ الْأَنْبِيَاءِ وَآيَا
 وَالْكَرَامَاتِ مِنْهُمْ مُعْجَزَاتُ

إِنَّ مِنْ مُعْجَزَاتِكَ الْعَجْزَ عَنْ وَصْنِ
 كَيْفَ يَسْتَوْعِبُ الْكَلَامُ سَجَايَا
 لَيْسَ مِنْ غَايَةٍ لَوْصَفِكَ أَبْغِي

(444-449) من المعجزات النبوية العجز عن الإحاطة بكل فرد من أوصافك التي اختصك الله بها لأنها لا تحد ولا تحصى. كيف يمكن للوصف أن يستوعب ما فيك من الأخلاق الكريمة والفضائل والأوصاف البالغة، ثم شبه هذه الأوصاف البالغة، ثم شبه هذه الأوصاف بالبحار وشبه ألقاظ المدحيين بالركاء وما تغرفه الركاء من البحار لا يذكر. وضع الناظم المعنى المتقدم بزيادة في الإيضاح فأفاد أن أوصافه صلى الله عليه وآله وسلم ليس لها غاية تنتهي إليها حتى يبيغها مادح خلاف القول فله غاية وانتهاء.

وزاد ذلك بياناً بأن فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشبه الزمان وأجزاء الزمان لا انتهاء لها فكذلك جزئيات فضائله لا انتهاء لها فلا يظن الظان أن الإطالة في هذه القصيدة الهمزية مرادي من ذلك استقصاء أوصافه لأنها كما تقدم لا غاية لها. وإنما أطلت لا لقصد الحصر كما تقدم وإنما أنا ظمأن لإسماع تلك الأوصاف الكريمة وليس لي ارتواء بالقليل.

تُأَكُّ فِيْمَا نَعُدُّهُ الْآنَاءُ (446)
 وَمُرَادِي بِذَلِكَ اسْتِقْصَاءُ (447)
 بِقَلِيلٍ مِنَ الْوُرُودِ ارْتِوَاءُ (448)

إِنَّمَا فَضْلُكَ الزَّمَانُ وَأَيُّهَا
 لَمْ أَطِلْ فِي تَعْدَادِ مَذْحِكَ نُطْقِي
 غَيْرَ أَنِّي ضَمَانٌ وَجَدٍ وَمَالِي

التسليم على خير البرية

هُ وَتَبَقِيَ بِهِ لَكَ الْبَأَوَاءُ (449)
 رُكُّ مِنْهُ لَكَ السَّلَامُ كَقَاءُ (450)
 هُ لِتَحْيَا بِذِكْرِكَ الْأَمْلَاءُ (451)
 نِّي شَمَالٌ إِلَيْكَ أَوْ نَكَبَاءُ (452)
 لُ بِهِ مِنْهُ تُرْبَةٌ وَعَسَاءُ (453)
 وَآيَ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَدَيَّ ثَرَاءُ (454)
 هُ وَقَامَتْ بِرَبِّهَا الْأَشْيَاءُ (455)

فَسَلَامٌ عَلَيْكَ تَتَرَى مِنَ اللَّـ
 وَسَلَامٌ عَلَيْكَ مِنْكَ فَمَا غَيَّ
 وَسَلَامٌ مِنْ كُلِّ مَا خَلَقَ اللَّـ
 وَصَلَاةٌ كَالْمِسْكِ تَحْمِلُهُ مِـ
 وَسَلَامٌ عَلَى ضَرِيحِكَ تَخْضَـ
 وَتَنَاءٌ قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيَّ نَجْـ
 مَا أَقَامَ الصَّلَاةَ مَنْ عَبَدَ اللَّـ

(450-456) ثم شرع حين ختم هذه القصيدة المباركة في الصلاة والسلام فقال: سلامٌ عظيمٌ عليك من الله يتكرر ويتبع بعضه بعضاً ويبقى لك به البأواء أي: الفخر، وثنى بسلامة صلى الله عليه وآله وسلم على نفسه، وهذا السلام هو المكافئ لحضرتك أما سلامٌ من دونك عليك فلا يكافئك ولا يساويك.

ثم قال: عليك من جميع المخلوقات التي خلقها سبحانه وتعالى، وأتى بهذا العموم لتحيا الأملاء - بفتح الهمزة - جمع ملاء، وهو الجماعة. وأتى بعد السلام بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والصلاة من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم وهذه الصلاة من الله ومنه صلى الله عليه وآله وسلم، ومن جميع المخلوقات وهي كالمسك في شذاها تحمله من الناظم الريح الشمالية إلى الرسول الكريم، والريح النكباء وهي ريح الصبا.

ثم سلم على قبره المكرم الذي ضم أعضائه الشريفة بسلام تخضل أي: تبتل به من القبر المكرم تربة وعساء أي: لينة. ثم ذكر أن ثناءه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه القصيدة بين يدي نجواه أي سؤاله بلوغ مقصوده من كل مأموله قائم مقام الصدقة لأجل النجوى لأنه لا ثراء له.

وختم بقوله: أدام الله الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم أبداً ما صلى الله سبحانه من عبد ودامت الأشياء أي الموجودات الدنيوية والأخروية وهي لا انتهاء لها.